الهجرة والوصية

تأليف

الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام

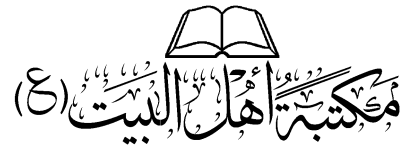

صف وتحقيق وإخراج:

اليمن ـ ت (٥٣١٥٨٠)

الطبعة الثانية
١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة أهل البيت (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، **وبعد:**

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران١٠٤]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة٥٥].

ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول

علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريّتهما عليهم السلام- عندما جلّلهم صلى الله عليه وآله وسلم بكساءٍ وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين صلوات الله عليهم عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت عليهم السلام هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجابةً من أهل البيت صلوات الله عليهم لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى،

والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبَهم ﷺ دينُ الله تعالى وشَرْعُه، ومرادُ رسول الله ﷺ وإرْثُه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله ﷺ: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعْلَمْ أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام١٥٣].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى٢١].

وقد خاطبَ سيّد رسله ﷺ بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، مع أنه ﷺ ومن معه من أهل بدر، فتدّبر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك،

علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة١١٩]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة٢٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة١]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُمْلَى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥](١).

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت (ع):

١-الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رحمه الله تعالى ١٣٨٨هـ.

٢-مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية،

(١) التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله، ١٠٢٩هـ -١٠٩٢هـ.

٣-مَطَالِعُ الأَنْوَارِ وَمَشَارِقُ الشَّمُوْسِ وَالأَقْمَارِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع) - ٦١٤هـ.

٤-مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع) ٣٧٦هـ- ٤٠٤هـ.

٥-مَحَاسِنُ الأَزْهَارِ في تَفْصِيْلِ مَنَاقِبِ العِتْرَةِ الأَطْهَارِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمه الله - ٦٥٢هـ.

٦-مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.

٧-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع) - ت ١٢٦٩هـ.

٨-لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ ١٤٢٨هـ.

٩-مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب(ع) ٧٥هـ - ١٢٢هـ.

١٠-شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) - ت ٦١٤هـ.

١١-صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

١٢-المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمه الله تعالى.

١٣-هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ت٨٢٢هـ.

١٤-الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤ هـ.

١٥-المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٦-نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.

١٧-تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي

المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى - ٤٩٤هـ.

١٨-عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

١٩-أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.

٢٠-الوافد على العالِم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦ هـ.

٢١-الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٢-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٣-المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.

٢٤-خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٥-رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

٢٦-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع

والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٧-إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٨-الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٩-النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) ١٣٤٣هـ.

٣٠-سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.

٣١-الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).

٣٢-أصول الدين، تأليف/الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)٢٤٥هـ-٢٩٨هـ.

٣٣-الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي

العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى - ٦٦٧هـ.

٣٤-العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) ٦٦٣هـ.

٣٥-الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.

٣٦-كتابُ التَّحْرِيْرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.

٣٧-مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) ١٣١٩هـ.

٣٨-القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).

٣٩-قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٤٠-نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٤١-معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٤٢-الاختيارات المؤيَّدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع)،

(١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).

٤٣-من ثمارِ العِلْمِ والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٤٤-التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٥-المنهج الأقوم في الرَّفع والضَّم والجَهْرِ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعُ الأَعَمُّ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع).

٤٦-الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).

٤٧-البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٨-الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٤٩-المختار من(كنز الرشاد وزاد المعاد، تأليف/الإمام عزالدين بن الحسن(ع)ت٩٠٠هـ).

٥٠-شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.

٥١-الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض

حفظه الله تعالى.

٥٢-تعليم الحروف.

٥٣-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية.

٥٤-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠).

٥٥-تسهيل التسهيل على متن الآجرومية.

٥٦-أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٥٧-متن الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، تأليف/ العلامة محمد بن يحيى بهران (ت: ٩٥٧هـ).

٥٨-الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) -١٣١٩هـ.

٥٩-أسئلة ومواضيع هامة خاصة بالنساء، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٦٠-المفاتيح لما استغلق من أبواب البلاغة وقواعد الاستنباط، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٦١-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الثاني الحركات وتركيب الكلمات.

٦٢-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الأعداد الحسابية الجزء الثاني.
٦٣-المركب النفيس إلى أدلة التنزيه والتقديس، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٦٤-المناهل الصافية شرح المقدمة الشافية، تأليف/ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري، ت ١٠٣٥هـ.
٦٥-الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، تأليف/ السيد العلامة أحمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٧هـ.
٦٦-الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤول، تأليف/ الفقيه العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي، ت١٠٦١هـ.
٦٧-مجمع الفوائد المشتمل على بغية الرائد وضالة الناشد، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٦٨-كتاب الحجّ والعمرة، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٦٩-المسطور في سيرة العالم المشهور، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٧٠-محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٧١-زبر من الفوائد القرآنية ونوادر من الفرائد والقلائد الربانية، تأليف

السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧٢-المنتزع المختار من الغيث المدرار المعروف بشرح الأزهار، تأليف العلامة عبد الله بن مفتاح رحمه الله تعالى.

٧٣-متن غاية السؤل في علم الأصول للسيد العلامة الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ت (١٠٥٠هـ).

٧٤-درر الفرائد في خطب المساجد، تأليف السيد العلامة عبد الله بن صلاح العجري رحمه الله تعالى.

٧٥-الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين، تأليف الفقيه العلامة محمد بن يحيى مداعس (ت ١٣٥١هـ).

٧٦-عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس، تأليف السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي رحمه الله تعالى، (٩٧٥هـ - ١٠٥٥هـ).

٧٧- معيار أغوار الأفهام في الكشف عن مناسبات الأحكام، تأليف الفقيه العلامة عبدالله بن محمد النجري (٨٢٥هـ- ٨٧٧هـ).

٧٨- البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي، تأليف الفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن مظفر ت (٨٧٥هـ).

٧٩-أثمار الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، تأليف الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام (٨٧٨هـ - ٩٦٥هـ).

٨٠-مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين بن

القاسم بن إبراهيم عليه السلام، (٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ).

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به (ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي

الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف١٥].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق فسوّى، والذي قدَّر فهدى، الذي لا تراه الأبصار، ولا تُحِيطُ به الأقطار، مكوّر النهار على الليل ومكوّر الليل على النهار، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين، ودليلاً للتائهين والحائرين؛ ليأخذ بأيديهم إلى النهج القويم، والصراط المستقيم، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب سيد الأولين والآخرين، وعلى عترته الميامين، قرناء الكتاب وأمناء رب الأرباب، صلوات الله عليهم أجمعين، **وبعد**:

فإننا نقدّم لك أخي القارئ هذا الكتاب القيِّم كتاب (**الهجرة والوصيّة**) وهو جليل القدر عظيم الفائدة؛ لأنه طَرَقَ مواضيع هامة وحساسة، وناقش قضايا دينية وإجتماعية وأخلاقية، وقد أودع فيه مؤلفه الإمام (**محمد بن القاسم بن إبراهيم**) عليه السلام -كما قال- خبرته العريقة التي صاغها على شكل وصية لأولاده ولمن ينتفع بهذه الوصايا الثمينة، المرتكزة على الأسس الدينية، والتطلع إلى أعلى درجات الكمال الإنساني في شتى المجالات، فأهل البيت عليهم السلام تربوا على الطهر والعفاف، والترفع عن الرذائل والنقائص، وهم يتطلعون إلى أجيال طاهرة مستقيمة، تنهج نهج محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونهج آبائهم عليهم السلام؛ لذلك حرص عليه السلام على أن ينقل خبرته في

الحياة إلى أولاده وأحفاده ومَنْ بعده؛ ليسلموا عناء التجربة والبحث من جديد.

وإذا نظرنا إلى ما صاغه عليه السلام في هذا الكتاب سنجده أهدى للمجتمع الإنساني درة فريدة، يستفيد منها من يريد المحافظة على فطرته السوية من دنس المعاصي ورذائل الآثام، ويجتنب شرور مخالطة اللئام.

وهو عليه السلام وإن كان موجهاً لكلامه إلى أبنائه ومحذراً لهم فيه من الرذائل، والاختلاط بالمجتمعات الفاسدة- فإن كلامه أيضاً يُعَدُّ صيحة في وجوه قاطني هذه المجتمعات ليعودوا إلى رشدهم، ويحاولوا أن يغيروا واقعهم؛ فليس ما هم فيه حتمٌ لازم لهم، بل يستطيعون الفكاك منه والرقي بمجتمعاتهم.

وقد استخدم عليه السلام أسلوباً أدبياً رائعاً، بطريقة الخطاب والوصية لأبنائه، ومزج ذلك بما للأب من العاطفة الجياشة والشفقة خالطاً ذلك بالوعظ والترغيب، تالياً للآيات القرآنية، مستعرضاً للمفاسد والمضار لكل آفة ومعصية تكلم عنها، عارضاً لها على ميزان العقل؛ ليتكوَّن للناظر في كلامه عليه السلام قناعة تامة في البعد عن هذه المفاسد والمضار، فيتركها عن رضا وطواعية.

وهنا يجدر بنا أن نقف وقفة جادة مع كل حرف ذكره المؤلف عليه السلام؛ فما دام أنه ينصح بالابتعاد عن هذه الرذائل، وعن المجتمعات

الممتزجة بها في عصره عليه السلام وهو في القرن الثالث الهجري؛ فكيف لو عاش إلى عصرنا هذا؟!!

إذاً لذاب قلبه في جوفه، ولمات كمداً مما يرى ويسمع؛ إنه عليه السلام يسطر رسالته هذه وهو لم يرَ عصر الفضائيات عصر الجوالات عصر الإنترنت، لم ير عصرنا عصر الغزو الفكري والأخلاقي والمجون والسفه والفحشاء والمنكر التي ملأت البر والبحر، ملأت القاع والفضاء ووصلت حتى القمر، وأصبحت كل أدوات الانحلال والرذيلة في متناول كل صغير وكبير ذكر وأنثى، لا يسلم منها في زماننا هذا إلا من عصمه الله بنور التقوى، وهم قلة قليلة؛ فما أحقنا بهذه النصائح!! وما أحوجنا إلى الالتزام بها والتطبيق لها.

وإن كانت بوادينا اليوم ليست كالبادية في عصره عليه السلام حيث يعيش في عزلة عن الفتن والفساد يأمن على أسرته وأولاده ومن يحبه، أما عصرنا فإن البادية أيضاً يصلها هذا الفيض من الفساد فلم تعد البوادي بمأمن، فإذا لم يكن الإنسان من أهل العلم والدين ليحافظ على تعليم أهله وذويه معالم الدين، فإنه سيغربهم في البادية ليعيشوا الجهل، ويبتعدوا عن كل ما قد يكون لهم به بارق أمل في تعلم الدين، وإن كان هذا قليلاً في عصرنا، ومنحصراً في مناطق بسيطة من المعمورة؛ أما وسائل الفساد فإنها تستطيع أن تلاحقهم وتغزوهم في أي محل يهربون إليه!!

وبهذا نعرف أننا في عصر تضاعفت فيه الشدة؛ إذ لا مهرب لنا ولأولادنا ولا ملجأ آمن، لا في بادية ولا في رأس جبل، فقد أوصلت التكنولوجيا الفساد إلى كل شبر في المعمورة والسيطرة على النفس والأسرة بإبعادهم عن هذه الوسائل الفتاكة أصبحت صعبة على كثير من الآباء.

فلا خلاص إلا بالعودة أفراداً وجماعات إلى الدين، والتركيز على تعليم أنفسنا وأبنائنا وبناتنا وأزواجنا الدين، وتحصينهم ضد الفساد الديني والأخلاقي، وحمايتهم من مفاسد العصر ومغرياته الفتاكة وما أكثرها.

فلنعد يا أمة الإسلام إلى نهج محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، ولنحافظ على أنفسنا وأولادنا ونسائنا ونقرأ هذه الأسطر بتمعن وروية، ونحاول أن نطبقها لنعيش في سعادة وترابط مجتمعي وأسري؛ فإن هذا الموضوع الذي طرقه عليه السلام هو من أقوى ما يرسي أعمدة الأسرة السليمة القائمة على تقوى الله.

نسأل الله أن يجنبنا شرور أنفسنا وشرور أعدائنا وشر ما في زماننا من الفتن والمفاسد والمغريات نحن ووالدينا وأولادنا وأزواجنا وجميع إخواننا المؤمنين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المؤلف عليه السلام في سطور

نسبه عليه السلام:

هو الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم سلام الله ورضوانه.

مولده عليه السلام:

ذكرت المصادر أنه عليه السلام ممن شيع ابن أخيه الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عليهما السلام في خروجه الخرجة الثانية إلى اليمن وأنه توفي بعدها بسنة.

وقال في كتاب التنبيه والدلائل للإمام القاسم العياني عليه السلام: إنه توفي وله من العمر نيفاً وثمانين سنة مما يعني أن له من العمر ٨١ إلى ٨٣ سنة، وعلى هذا تكون ولادته ما بين ٢٠٢ إلى ٢٠٤هـ، والله أعلم.

بعض من أخذ عنه عليه السلام

أخذ العلم عن أبيه عليه السلام. وعنه: وَلَدا أخيه: الهادي وعبدالله، وولده عبدالله بن محمد، وطاهر بن يحي بن الحسين.

شيء مما قيل فيه عليه السلام:

قال والده الإمام القاسم عليه السلام: صحبت الصوفية أربعين سنة ودرت الشرق والغرب فلم أر رجلاً أبين ورعاً من ابني محمد، قد كان باع نفسه من الله حريصاً مجتهداً، قام بأمر الله وبايعه كثير من

اليمن والحجاز ومصر، ثُمَّ نكث عليه الأكثر فلم يتم له حتى لزمه مرض أزال عنه فرض القيام.

وفي كتاب التنبيه والدلائل: بسنده: كانت بنو أبي طالب إذا أتَى محمد إلى جماعتها لا يتكلم بين يديه منها متكلم إلا بعد كلامه.

وفيه: قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبو القاسم طاهر بن يحيى الحسين الحسيني فقال: ورأيته -أي محمد بن القاسم عليه السلام- وهو في المسجد الحرام ، وقَد مرَّ ابن أبي ميسرة يختال ويخطر في مشيته، فحصبه بكف من حصى وقال له: تعال، فلما وقف بين يديه زجره وقال: قد بلغني كلامك في بني أبي طالب، فارتعد ولم يحر جواباً، وقد كان ابن أبي ميسرة من رؤساء هذه الدنيا وجبابرة أهلها.

وفيه: قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبي عبدالله بن محمد، قال: كان أبي محمد بن القاسم يتنزَّهُ عن أكل أرزاقِ السلطان.

وفيه: قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي: وكانَ محمد بن القاسم رضي الله عنه قد باع من الله نفسه ، فخرج إلى الحيرة هو وأخوه سليمان بن القاسم، فنزل على أشهب بن ربيعة صاحب المعدن، فبايعه وأخذ له بيعة كثيرة، وكانت له بيعة باليمن، ..إلى أن قال: فلم ير رضي الله عنه من التخلف بعدما اتصل به من علم

ذلك ما اتصل فخرج إلى مصر ... إلى قوله: ثمَّ وردَ عليه كتاب ابن الجوزي يُخبِرُهُ أنَّ جنود بني العباس قد ضبطت البلد وأن كل من كان بايعه قد ذهب ونكث بيعته، ولم يكن رحمه الله صحبه إلا شرذمة تقل عن مكافحة العساكر من ولد الحسن والحسين وجعفر وعقيل وجماعة من قريش فيهم عبدالرحمن بن إبراهيم العامري ونفر من العرب يسير فكره صلوات الله عليه أن يلقي بشرذمة من المؤمنين قليلة إلى التهلكة ، ولَمْ يَرَ في دينه صلوات الله عليه أن يحملهم على السيف، وقد تقرَّر عنده ما تقرّر فرَدَّهم تقية فيهم حين علم قلّتهم وكثرة عدوّهم ونكث أهل العهد لبيعتهم فرجع عند ذلك غير مختار للرجوع .

..إلى قوله في شعره الذي يذكر فيه جده للخروج وفيه هذا البيت الذي يستشهد به على دَعوته فقال :

وقَـدْ يَعلَـمُ اللهُ العلـيمُ بـأنني دَعَوتُهُم لـو يَقبـلُ الله داعيـا

... إلى آخر كلامه فيه عليه السلام.

وفاته عليه السلام:

ذَكَرَت المصادر أنّ وفاته بعد خروج الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن الخرجة الثانية بسنة مما يعني أنه في عام ٢٨٥هـ تقريباً.

من كُتُبه:

١- الأصول الثمانية .

٢- تفسير القرآن الكريم .

٣- شرح دعائم الإيمان .

٤- الشرح والتبيين في أصول الدين .

٥- الهجرة والوصية .

٦- هو الوافد في كتاب الوافد على العالم، والعالم هو والده الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام.

مصادر الترجمة:

١- الجداول الصغرى مختصر الطبقات.

٢- الحدائق الوردية.

٣- سيرة الإمام الهادي عليه السلام.

٤- التنبيه والدلائل للإمام القاسم العياني عليه السلام.

قسم التحقيق

مكتبة أهل البيت عليهم السلام

١٢/ ربيع الأول/ ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، هادي من اهتدى من المهتدين، وولي رشد من رشد من الراشدين، هو الله الذي دلّ على وحدانيته وربوبيته بما أراهم من شواهد آياته في أرضه وسماواته، وبما أظهر لهم في أنفسهم من آثار قدرته، بتقديره وتدبيره إيّاهم، وحكمته في تأليف خلق أعضائهم وأبدانهم، باطنها وظاهرها، وما في ذلك وفي حواسهم الخمس من أبصارهم التي بها يبصرون، وشوامّهم التي بها يميِّزون بين الأرياح الطيبة، والمشمومات المنتنة، وحاسة الذوق من اللسان والفم، التي بها يميزون ويفهمون مذاق كل ما له طعم، وحاسة السمع التي يدركون بها كل مسموع من الأصوات، ويفهمون ما فيه من ضر ونفع، (والحاسة) الخامسة التي في جميع البدن، وهي حاسة اللمس اللامسة، التي بها يوجد كل حَرٍّ وبرد، ويابس ورطب، وخشن ولين، مع ما لا يحصى ولا يؤتى عليه بعدد.

ومن آثار حكمته وتدبيره في جميع كل ما صنع ودبر من الإنسان وغير الإنسان، وجميع ما في الأرض برِّها وبحرها، من الدواب والطير والحيوان، المختلفة في صورها وهيئاتها وتركيبها، وأغذيتها وأصواتها وظلها، وكل ما في السماوات والأرض من الملائكة والجن والإنس وجميع الحيوان، والشمس والقمر والنجوم، وما يحدث الله بجريها وطلوعها وأفولها من تغير الزمان، وما تدرك به الليالي

والأيام، من العدد والحساب، وإحاطة الفلك بذلك كله، ودوره على أعلاه وأسفله، دائماً لا يفتر طرفة عين عند فكر من فكر ونظر، ولا في غفلة الغافلين، وما في الحيوان في البر والبحر، من الإنسان وغير الإنسان من عجيب صنعته، أزواج الإناث والذكران، وتصريف نسولهم في الأرحام، وما يكون منها يبيض في العش والأكنان، واختلاف أحوالها في الصور والهيئات والاعتدال والألوان، التي إنما تحيط العقول والفكر إذا اجتهدت وتفرغت لإجالة التفهّم والنظر بقليل من كثير، وصغير من كبير ما يحيط به صانعها، الذي صنع كل عجيب حكمة فابتدع.

فلا بد أن يفهم كُلُّ ناظرٍ نَظَر ومفكرٍ عاقل فكَّرَ أن لما ذكرنا من المبتدَعات مبتدِع؛ إذ لا بد لكل موضوع مصنوع محدَثٍ مِنْ واضع، كما لا بدّ باضطرار لكل مُدَبَّر من مُدَبِّر، وكما لا بد لكل مرفوع - وإن لم نرَ من رفعه- من رافع، وكذلك كل مصوَّرٍ أو مبني -وإن لم نرَ من صوره وبناه- فلا بد له من مصوِّر بانٍ، وكذلك فلا بد للإنسان وغير الإنسان من الحيوان من خالق خلقهم، ومصوِّر صورهم، وتولى صنعهم وتدبيرهم، وابتداعهم وتصويرهم، وذلك فهو الله الواحد الحكيم، الأوّل قبل كل أوَّل، والقديم الجواد الذي كل من فضل جوده، الرؤوف الرحيم، الذي هو أرحم وأرأف بجميع ما خلق من الوالد الرحيم بولده، بل رحمة الآباء والأمهات من فضل رحمته.

ولا بد لكل مُدبَّر محكَم مصرَّفٍ من مُدبِّر حكيمٍ مصرِّف، وبلا شك فلا بد لكل ما وُجد مُبْتَدَعاً محدَثاً مُصوَّراً مصنوعاً مؤلفاً، من مبتدِعٍ صانعٍ محدِثٍ مؤلِّفٍ مصوِّرٍ، بل قد شهدت فطرُ العقول عند كمال فطرتها قبل جولانها بالنظر وغوص الفكر أنه رب كل الأشياء مما في الأرض وفي السماء، وولي صنعتها، وتلك في جميع الناس وكل البشر سودانهم وحمرانهم من كل الأجناس معرفة طباع وفطرة؛ إذ لا يحتاج معها إلى نظر وفكرة، وهو الله الذي لا تشبهه جميع الأشياء، ولا تشبهه في شيء من صفاتها؛ لأنه لو أشبه شيئاً من أجزائها أو كلها للحق به ما يلحق بها من صفاتها وأسمائها، حتى يكون بكثير مما وُصِفَتْ به موصوفاً؛ إذ كان كل شبيه لما يشبهه مثيلاً، ولحاله أو ببعضها معروفاً، والله تبارك وتعالى الواحد الحق في الوحدانيّة، الأوّل الذي لا مثل له في القِدَمِ والسبق والأولية، البعيد من شَبَهِ ما بَرَأَ وفَطَرَ وصَنَعَ من البريَّة، بل هو الله الذي ليس كمثله شيء كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وهو الله ذو القوة التي لا تبلغها قوة، والقدرة العالية فوق قدرة كل قدير، كل مَنْ خلق سبحانه من خليقته فهم مفطورون على معرفته بأبين معرفة أنه ليس له نظير ولا صفة، كما يعرف الأطفال بإلهام الله إيّاها، بغير فهم ولا فكرة، بل بما ركَّب فيهم من غريزية الطباع والفطرة.

وكذلك يُقَالُ فيما قد اتفقت به الأخبار، وجاء في كثير من الآثار: (إن الملائكة والجنّ والإنس والبهائم كلها والأطفال، مفطورون

على معرفة الصانع الإله البارئ ذي الجلال والإكرام) فللملائكة في المعرفة به وبجلاله وعظمته أفضل مما للجن والإنس، والبهائم في معرفتها بربوبيته خلاف معرفة ذوي العقول المكلّفين، وهي معرفة طباع وولوه غريزيّة، لا كمعرفة ذوي العقول الناطقين، وكل بني آدم من أهل الإيمان والمشركين، فيثبتون الله صانعهم وصانع كل جميع ما يرون، لا يشكُّون في ذلك جحوداً لصانعهم ولا يمترون، وإن ضلّوا بعبادة الأوثان، وقد ذكر الله ذلك عن مشركي أهل الجاهلية في آي من القرآن إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

فهو الله الأوّل قبل كل أوَّل، وهو الله الآخر الباقي بعد كل ما خلق وجعل، وهو الله المعروف الظاهر في فطرة العقول بأيقن الإيقان، وهو الله الباطن الخفيّ عن درك العيون، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

[خطبة وصية الإمام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحي القيوم ذي العظمة والجلال، الذي لم يزل ولا شيء غيره ولا يزال، كان قبل كل خلق وزمان، ولا يزال إلى غير غاية ولا ميقات أوان، لا يتبدَّل ولا يتغيَّر، ولا يلمّ به عَرَضٌ من الأعراض فيتحوَّل، جلَّ عن ذلك وتقدَّس، من ليس له نظير ولا مثيل، فاطر كل موجود، وليس محيط به شيء من الأشياء، جل وعلا عن صفة المحدود، ذو البقاء والثبات والدوام، لا تجري عليه ولا تناله ساعات الليالي والأيام.

وكيف يجري عليه أو يحيط به من ليس بينه وبينه مشابهة ولا صلة، وما هو سبحانه خلقه وصنعه، ولم يزل متقدّماً قبله؟!! وإذ الليالي والأيام وما مضى وبقي من الزمان عدد حركات الفلك ودور الشمس والقمر، والنهار علامته ظهور الشمس، وجريها في السماء فوق الأرض ووجودها، والليل فعلامته تغيب الشمس تحت الأرض وفقدها، والشهر فهو قطع القمر للفلك ونزوله في جميع بروجه، فإذا أتى على بروجه كلها بسَيْرِه وجريه ودوره فذلك شهر، والسنة هي نزول الشمس ودورها على جميع منازلها من الفلك؛ فإذا نزلت في جميع منازل البروج وقطعت الفلك فذلك سنة، وبدور هذه النجوم وبالسنة والشهر والليلة واليوم يدبّر الله سبحانه ما خلق.

والزمان فهو عدد حركات جري الشمس والقمر والفلك، وهذا

العدد وقته حساب القمر الذي وقّته الله للإنسان وغير الإنسان، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، والكتاب هاهنا فهو: العلم من الله بما يعطي خلقه ويهب لهم من الأعمار، فيكون معلوماً عنده علماً لا يتغير.

فشبَّهه بالكتاب يَثْبُتُ ثَبَاتَ ما لا زيادة فيه ولا نقصان، كثبات ما رُقِمَ بالخطِّ من الحساب؛ تمثيلاً من الله سبحانه لبيان علمه بما كُتِبَ، فهو في اللسان العربي لا يحتمل غلطاً ولا زيادة ولا نقصاناً بعد تصحيحه ورقمه، ولا يتوّهم من يعقل أن الكتاب هاهنا خط من الخطوط، بل هو الأمر الثابت في علم الله وحكمته.

وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]، يريد بالحسبان: الحساب، فليس شيء مما خلق الله تبارك وتعالى في الأرض ولا في السماء إلاَّ وهو يجري عليه الزمان، من الإنسان وغير الإنسان، غير أن السماوات من المخلوقات هي أبعد في الضعف والبلاء والآفات، لأن السماء أكرم بنية من الأرض، وهكذا فَضَّلَ الله بعض الخلق على بعض.

وكذلك ما في الأرض أوهى -يابني- وأضعف مما في السماء السفلى، وما في السماء من نجومها وملائكتها أقوى وأبقى بِتَبْقِيَةِ الله مما في الأرض السفلى من الإنسان وغير الإنسان، قال الله تبارك وتعالى وهو يصف ضعف الإنسان وبدء خلقه، ثم قوته في أوسط عمره، ورجوعه إلى الضعف والبلاء في آخر مدّته وأيامه: ﴿اللَّهُ

﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الروم: ٥٤]، فسبحان خالق الأرض والسماء، الذي ليس لغيره دوام ولا بقاء، كل ما سواه فإلى زوال وفناء، هو مُعَمِّر المعمرين، ومفني من مات وهلك من الميتين، لا تجري عليه سبحانه مُدَدُ الأزمنة والدهور، وهو مُدَبِّر الخلق والأمور، وإليه المنقلب والمعاد والمصير.

وبعد:

[بداية وصيته عليه السلام وسبب إنشائه لها وذكر خبرته في الحياة]

يابنيّ وولدي، فهذه وصيَّتي لكم واختياري، حين كَبُرَتْ سنِّي وجرَّبْتُ الأمور، وأدبر عمري، وأشرفت على الرجوع إلى صانعي وإلهي وخالقي، وخفت أن يحول الموت الذي لا بد منه لكل مخلوق بيني وبينكم، فتبقوا أغماراً جهلاء بما فيه رشدكم، وألاَّ تجدوا بعدي من يفهمكم ما فيه صلاحكم، في أموركم ومعايشكم؛ لما سترون من اختلاف أخبار الناس عليكم في الأديان، ومصالح المعاش والآداب، وأخبار البلدان.

واختلاف الناس في هذا كلّه قليله وكثيره إنما هو باتباع أهوائهم، واختلاف عقولهم وآرائهم، وما قبلوا من غيٍّ أو رشادٍ أو خطأٍ، والخطأ الغالب عليهم من آبائهم؛ إذ حقت الفرقة لكم بالوفاة، وأن تبقوا بعدي بين قرابة وعامة أكثرهم جفاة، وكنتم أحداث الأسنان، لم تَخْبُروا حوادث الدهر والزمان، ولم تفهموا أمور الناس واختلافهم

في الأديان، ولا كيف التأنّي في المعائش ومصالح الإنسان، وما يحسن من الأمور والأخلاق، ومواضع البُلَغِ والإرفاق[١].

فرأيتُ يابني أن أضع لكم إن أبقاكم الله ما تحتاجون أعظم الحاجة في أصول الدين طرفاً، وأن أرسم لكم الصواب إن شاء الله تعالىٰ وبعون الله وهدايته في أمر معايشكم والاختيار لكم ولمن لعلّ الله أن يهبكموه من نسل بعدكم ومَنْ قَبِلَ وصيتي من ولدِ جدكم القاسم بن إبراهيم رحمة الله عليه، يزول به عنكم شكوك الحيرة، وتكفون به إن شاء الله في الاختيار والاعتبار طول الأمد في التجارب والخبرة.

ولم أضع لكم ما وضعت من وصيَّتي إياكم في هذا الكتاب إلاَّ بعد طلوعي في العمر علىٰ الستين سنة، وبعد -والحمد لله- ما أحطت بكثير مما لا يُسْتَغْنىٰ عن خبرته من أمر الدين والدنيا، حتىٰ أتيتُ فيه علىٰ أكثر ما يحتاج إليه في البحث والخبرة، وبعد أن نظرتُ في كثير من علم العرب، وكثير من علم العجم، وبعد أن خبرت بالمحاضرة وتخبرت بالمسألة أخبار كثير من البلدان والأمم، فمن الأمم من خبرته بالمشاهدة والمعاينة والمجاورة والمساكنة، ومنهم من

(١) قال في معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: إرفاق: الرّفق في اللغة: هو لين الجانب ولطافة الفعل. والإرفاق: هو النّفع؛ أي إسداء النفع للغير. والارتفاق: الانتفاع. يقال: استرفقته، فأرفقني بكذا؛ أي نفعني. وأرفقته: نفعته. وارتفقت بالشيء أي: انتفعت به.

تَخَبَّرْتُ عنه من يَخْبَرُهُ ممن يُجَاوِرُهُ ويساكنه ممن أثق بخَبَرِه وفهمه وصِدْقِ حديثه، حتى كأني رأيتهم في بلدانهم، وكأني عاينت جميع أمورهم وشأنهم، ومن البلدان ما رأيته عياناً وسكنته زماناً.

[ذكر البلدان التي خبر عليه السلام أحوالها وأديان وأخلاق سكانها]

فأما الذين فهمتُ شأنهم وأديانهم وآدابهم وأخلاقهم، فالعرب من اليمن[١] ومن نزار[٢]، الأبرار منهم والفجار، والفرس[٣] وأهل خراسان[٤]، والسند[٥] والروم[٦] والسودان[٧]، فهؤلاء الأجناس والعرب منهم قد خبرتهم في بلدانهم وأوطانهم، وفهمت ما هم عليه من مذاهبهم وأخلاقهم، فأمَّا من سميت من أجناس العجم، فقد

(١) هو اسم للجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

(٢) نزار بن معد الجد الثامن عشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده مضر وربيعة وأياد وأنمار.اهـ قال في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الأندلسي: قال: وكان جابر بن جشم بن معدّ، ومضر وربيعة وإياد وأنمار، بنو نزار بن معدّ بن عدنان، بمنازلهم من تهامة وما يليها من ظواهر نجد.

(٣) هم شعب يقطن منطقة فارس التاريخية في الهضبة الإيرانية ويتحدث اللغة الفارسية ويتنمي الفرس الأوائل إلى المجموعة الأريانية، ويوجد فرس في المناطق الشرقية مثل أفغانستان ويسمون الطاجيك.

(٤) هي إقليم قديم يشمل إيران وأفغانستان وبعض مناطق آسيا الوسطى.

(٥) مجموعة عرقية تتركز في باكستان والهند، ويوجد اليوم في باكستان إقليم يسمى السند هو أحد أقاليمها الأربعة وعاصمته كراتشي.

(٦) الرومان هم شعب هاجر من شرق أوروبا إلى الجزر الإيطالية ابتداء من ١٢٠٠ق م ، أي القرن الثاني عشر قبل الميلاد وقاموا بتأسيس مدينة روما القديمة، ثم بدأوا بالتوسع على شبه الجزيرة الإيطالية ثم اتسعت هذه الدولة وأصبحت حدودها شاسعة امتدت من الجزر البريطانية وشواطئ أوروبا الأطلسية غرباً إلى بلاد ما بين النهرين وساحل بحر قزوين شرقاً ومن وسط أوروبا حتى شمال جبال الألب وإلى الصحراء الإفريقية الكبرى والبحر الأحمر جنوباً.

(٧) تقع جنوب مصر وتداخل تاريخ السودان القديم مع تاريخ مصر الفرعونية على مدى فترات طويلة.

خبرت بعضهم في بلدانهم، وفهمت كثيراً مما هم عليه في أرضهم من شأنهم.

فمما سكنت وخبرت وتخبرت من أرض العجم العراق، أقمت به سنين ببغداد(١) والبصرة(٢) حيناً وزماناً، ودخلتُ الأهواز(٣)، ورأيت أهل كورٍ كثيرة من أهل خراسان، وفهمت برؤيتهم والأخبار عنهم ما هم عليه أو أكثره في بلدانهم من الأخلاق والشأن، ودخلت بعض أرض السودان من البجة(٤)، وطرفاً من مواضع الحبش(٥).

(١) هي الآن عاصمة العراق، وهي مدينة بناها المنصور العباسي.

(٢) تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية لشط العرب الذي يلتقي فيه نهري دجلة والفرات، تبعد ٥٤٥كم عن مدينة بغداد، وهي أول مدينة بناها العرب أثناء الفتوحات الإسلامية.

(٣) هي المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من العراق والجنوب الغربي من إيران، يحدها من الشمال والشرق جبال زاغروس ومن الغرب بلاد العراق ومن الجنوب الخليج العربي.

(٤) اسم يطلق على الشعب الذي يسكن ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل في السودان وعلى امتداد من الشمال مروراً بمنطقة مثلث حلايب وجنوباً ما بين باضع (مصوع حالياً) وجزر دهلك إلى منطقة بركة في داخل الحدود الأرتيرية ومن ثم الامتداد غرباً إلى قلع النحل والقلابات والقضارف والبطانة ونهر عطبرة في السودان، وهم من أقدم الشعوب الأفريقية يعود نسلهم إلى كوش بن حام بن نوح وقيل إلى سام بن نوح.

(٥) قال في آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني: بلاد الحبشة: هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. الحر بها شديد جداً، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون بها قليل. وهم من أكثر الناس عدداً وأطولهم أرضاً، لكن بلادهم قليلة وأكثر أرضهم صحارى لعدم الماء وقلة الأمطار، وطعامهم الحنطة والدخن، وعندهم الموز والعنب والرمان، ولباسهم الجلود والقطن.

وأما المغرب[١] والبربر[٢] والجزائر[٣] والبحرين[٤] فإن أبي رحمه الله كان قد أقام بمواضع من أرض المغرب دهراً، وسار إلى أقصاها أشهراً. (والشام[٥]) وغيرها من بلدان الإسلام، فقد بحثت عنها بحثاً شافياً حتى كنت بالاستخبار عنها، وبالفتش والعناية وما كان لأبي عنها من الاختبار، فصرت عن معاينتها مستغنياً مكتفياً، ولو كانت

(١) تقع في أقصى غربي شمال أفريقيا يحدها المحيط الأطلسي غرباً والبحر المتوسط شمالاً.

(٢) يطلق هذا الاسم على شعوب شمال أفريقيا المعروفين بالأمازيغ، وهم مجموعة من الشعوب الأهلية التي تسكن المنطقة الممتدة من واحة سيوة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً.

(٣) قال في معجم البلدان: اسم علم لمدينة على ضفّة البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام، كانت من خواص بلاد بني حمّاد بن زيري بن مناد الصنهاجي، وتعرف بجزائر بني مزغنّاي وربما قيل لها جزيرة بني مزغنّاي وقال أبو عبيد البكري:
جزائر بني مزغناي مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار للأول عجيبة وآزاج محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم، وصحن الملعب الذي فيها قد فرش بحجارة ملوّنة صغار مثل الفسيفساء، فيها صور الحيوانات بأحكم عمل وأبدع صناعة، لم يغيرها تقادم الزمان، ولها أسواق ومسجد جامع، ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما.اهـ
وأما اليوم فهو اسم لدولة الجزائر الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ويحدها من الشرق تونس وليبيا ومن الجنوب مالي والنيجر ومن الغرب المغرب وموريتانيا، وهو مشتق لها من اسم عاصمتها وأول من أطلقه على البلاد كلها هم العثمانيون.

(٤) هي منطقة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية امتدت من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً على طول ساحل الخليج العربي، وقد شملت الكويت والأحساء والقطيف وقطر والإمارات وجزء من عمان بالإضافة إلى جزر أوال (مملكة البحرين حالياً) كانت هجر عاصمة هذا الإقليم.

(٥) هو اسم لجزء من بلاد المسلمين يمتد على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط إلى حدود بلاد الرافدين، وتشمل ما يسمى الهلال الخصيب وصولاً إلى أجزاء من أرمينية، تشكل هذه المنطقة اليوم كل من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وأراض ضمن تركيا وسيناء وقبرص.

الخبرة والعلم في الأمور والبلدان لا يُكْتَفى فيها بصحيح الخبر والاستغناء في فهمها إلاَّ بالعيان لَمَا فَهِمَ أحدٌ ما لم يُعَايِن، ولا كان له بغائب إيقان، ولكثرة الأمم وبلدان العرب والعجم عن أن تدرك بالعيان وتفهم، ولكن كل غائب يثبت عنه صحيح الخبر، فذلك يشفي فيه ويدرك به منه مثل ما يدرك بالمعاينة والنظر، ولو لم يكن ما ذكرنا يدرك ويفهم إلاَّ بالعيان لقصر عن ذلك أطول عمر الإنسان.

وسأنبئكم إن شاء الله تعالى عن كثير مما صح عندي من أخبار الأمم وشأنها، وأخبار كثيرة مجملة من أخبار بلدانها، إذا جاء وقت الإخبار عنه في مواضعه، فتمسكوا إن شاء الله بفهم ما أخبركم به، فإن في ذلك كفاية لكم كافية، وخبرة قد كفيتكم تحصيلها شافية، فلست آلوكم تحصيلاً لصحيح الأخبار، وما لم يدرك مثله أو بعضه إلاَّ بعد اختلاف أخبار الناس أو بعد عمر طويل وأعمار.

فتفهموا إن شاء الله ولا قوة إلاَّ بالله ما سأبينه لكم، والتوفيق والمعونة من عند الله، تستغنوا بتحصيل ما حصَّلْتُ لكم من الخبر، عن انتظار التجارب التي لا يحصل لكم منها يقين الفهم إلاَّ بعد طول العمر.

[مثل ضربه الإمام عليه السلام ليوضح غرضه]

وأنا سأضرب لكم مثلاً جامعاً في قبول ما كفاكم الله خبرته حتى جمعته لكم في آخر عمري معاً، وذلك من المثل فيَّ وفيكم، وفيما ألقيه من محصول حقائق الأخبار في الدين والدنيا إليكم مثل رجل كان له

ولدٌ صغارٌ جهالٌ أغمار، يحتاجون إلى خبرة الأمور في الدين والدنيا كثيرة، واختبارهم لذلك بطلب بينه وبينهم مسافة بعيدة مسيرتها ستون سنة، وكان أبوهم قد أخبرهم خبرها، ودخلها وعاين أكثرها فأخبرهم عنها، وهو والدهم الذي لا شك في نصحه لهم، وعطفه بالرأفة والرحمة والرقّة عليهم، فرأى أن يفهمهم ما يحتاجون إلى فهمه؛ لما خشي أن لا يبلغوه ولا يحيطوا فيه بمثل اختباره وعلمه، فشرح خبر تلك البلاد لهم، وعلم أن ما أحاط هو به مما يحتاجون إليه ولا يستغنون عنه، لن يدركوه إلاَّ في آخر أعمارهم التي شبهها بمسافة البلد.

والبلد فمثل الأمور التي لا يستغنون عن خبرتها ولا يستغني عنها أحد، لأني لم أفهم الأمور التي سأشرحها لكم إلاَّ بعد طول التعمير، والمسافة إلى الإحاطة بالتجارب التي لم أدركها إلاَّ بعد التمييز من الفهم والنظر ستين سنة أو نحوها.

فإنكم إن لم تكتفوا بما أخبرت وجرّبت وأردتم اختبار ذلك لأنفسكم لم تفهموا منه بعض ما فهمت إلاَّ بعد أن تعمروا شبيهاً مما عمرت عند إخلاق جِدَّتِكم إنِ اللهُ عمّركم وأخّركم، وحينئذ لا يبقى إلاَّ اليسير من أعماركم، فمن كان منكم عقله صحيحاً يثبت ما في الأصل، فسيعلم إن شاء الله أني لم آله إلاَّ رحمة له من الغلط نظراً ونصحاً، بل لعلي أن أكون بسبقي لكم أقوى منكم فهماً، وأحسن تفقداً للأمور وتفهماً، والله أسأل أن يهبكم ألباباً وعقولاً وعلماً.

فخذوا يابَنِيَّ ما قد كفاكم الله به اختباره، واقبلوه وأقرّوه في العمل به من قلوبكم قراره، والله أسأل لكم العون والرشاد، والتوفيق في أمور دينكم ودنياكم للصواب والسداد، فإنه لا يجتهد لكم قريب ولا بعيد من بعدي في النصح لكم والنظر والشفقة عليكم من الغلط اجتهادي، والله أسأل لي ولكم العون بالرشد والتوفيق، ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، عليه توكلت وهو رب العرش الكريم، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى الأبرار من ذريته وآله.

[الشهادتان والإيمان بالبعث والجزاء]

فأوّل ما أنا قائل لكم، وشاهد به معكم وقبلكم: أن الله ربي وربكم، وخالقي وخالقكم، ربنا ورب آبائنا الأولين، وأنه خالق السماوات والأرضين وما بينهما من الخلق أجمعين، الذي أحياني وأحياكم بعد أن لم نكن شيئاً، وهو الذي يميتني ويميتكم سبحانه ولن يزال حياً، فأشهد وتشهدون ألاَّ ربّ ولا إله غيره وأن إليه منقلبي ومنقلبكم، ومعادنا ومعاد كل مخلوق ومصيره، وأنه إلهنا الذي خلقنا وبَرَأنا، وخلق قبلنا أمهاتنا وآبائنا، فعطفهم بالرأفة والرحمة علينا، فمن إحسانه ونعمه الآباء وإحسانهم إلينا.

وأشهد وتشهدون معاً أحياء وعند الوفاة ويوم النشور أن محمداً رسول الله وخيرته ومصطفاه، وأنه قد بلَّغ رسالات ربه، وصدع مجتهداً صابراً مجاهداً بتبليغ ما أُمِرَ به فلم يقصّر في شيء من أمر الله

وطاعته ولم يزل مجتهداً مجداً في الله طول حياته، حتى صار إلى الله راضياً مرضياً، مقدَّساً رفيعاً عند الله زكياً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً، وزاده الله من زيادات كرماته تشريفاً وتعظيماً.

وأشهد وتشهدون أن إلى الله المنقلب والمصير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

[وصيته عليه السلام في توحيد الله وطاعته]

فأوّل ما أنا موصيكم به حبّ الله وتقواه وطاعة خالقكم وبارئكم، الذي صنعكم وفطركم، وصوّركم فأحسن صوركم، خلقاً من بعد خلق في ظُلَمِ الأرحام، كما قال الله سبحانه وتعالى وهو يخبر عن خلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون] فهكذا كما قال تبارك وتعالى أنشأكم وقدَّركم، وفي هذه التارات والطبقات من التصوير نقلكم وصوَّركم، فهو أولى بكم من آبائكم وأمهاتكم؛ إذ ليس للوالدين فيكم حجّة غير الحركة التي كانت بها النطفة في الرحم، ثم كان سبحانه هو الذي دبّرها وصرفها وبلَّغها، حتى أتمّ من خلقه ما أراد أن يتم، رأفة ورحمة وجوداً وكرماً، فوهبكم لآبائكم، وابتداؤكم بخلقكم من غير حاجة منه إليكم، بل لما أراد من الإفضال والجود عليكم، ثم لم تزالوا تُقَلَّبُون في نعمه

وفضله، وعطاياه وكرمه، صغاراً وكباراً، ليلاً ونهاراً، ومع كل نفَس وطرفة عين، يُعَرِّفكم سبحانه في أول ما ذكرنا وآخره أنه ربكم ومالكِكُم، ومدبّركم ورازقكم؛ إذ ليس من نعمة أنعمها أب وأم عليكم إلاَّ وهي منه، لا صنع فيها لصانع ولا لوالد، غير أنه أجرى ذلك على يدي الوالدين وأوصله إليكم.

والذي أوصل إليكم بالوالدين من النعم فنعمه فيما ظهر وبطن أكثر من ذلك أضعافاً وأعظم؛ إذ هي مع كل نَفَسٍ ولمحة عين وطَرْفة، وفي كل نوم وهدوء، وعند كل سكون وحركة ونعمة، كما قال تبارك وتعالى أكبر وأوفر وأدوم من أن تعدّ وتحصى، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٦ـ ٨] وقال جل وتقدس ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝٢٣﴾ [عبس] فذكر نعمة الصنع الأولى التي ابتدأ بها الإنسان طولاً منه وامتناناً، وتفضلاً من خلقه له وصنعه إياه، ثم ثنَّى بذكر النعمة في طعامه الذي به غذاءه، ومنه مادته وبه أَدَامَهُ وأبقاه، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ

﴿غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس]، يعني سبحانه بلغة لكم في الغذاء الذي به دوامكم في هذه الدنيا وبقاؤكم، وبلغة لأنعامكم، إذ ما أنزله من السماء فصبه صباً هو الذي أنبت به ما ذكر أنه شقّ الأرض عنه شقاً من الحبّ والعنب.

والحب: فهو الحبوب كلها، المتغذى بها من البُرِّ وغيره من الحبوب التي أنبتها للعباد وكَثَّرها وبثَّها في البلاد، فلم يجعلها للمطيعين دون العاصين، بل منَّ بها على البشر كلهم أجمعين.

والقضب: فهو القضب المعروف الذي أنبته الله في الأرض كلها، وجعله غذاء ومنفعة لدوابّ أهلها.

والزيتون: فهو شجر الزيت الذي به يأتدمون.

والنخل: فمنه الرطب والتمر الذي يأكلون.

وحدائق غلباً: والحدائق هي الأرضون التي تضم الأشجار كلها، التي جعل الله لبني آدم منافعها.

والغُلْب: من الحدائق فهي المُلْتَفَّة العامرة القوية التي قد استغلبت واغلولبت، فهي غُلْبٌ قد تمّت والتفَّت وكملت.

والأبُّ: فهو الأصول التي جعلها الله للبهائم والمواشي نابتة عند المطر وبعده، وفي أوقات الجدب من الأشجار النابتة والأصول القوية الثابتة التي بها قوام دوابهم وبهائمهم التي خوَّلهم الله إياها وجعلها قوام معائشهم.

فمن أولى يابني أن يُشْكَرَ أبداً، ويُطَاعَ في كلّ ما به أمر ممن أنشأنا

وأنشأكم، وخَلَقنا وخَلَقَكم فصوَّر وعدل، وركَّب الأبدان فسوى وقدر، وأحكم كلما خلق غاية الإحكام بحكمته في جميع ما بطن وظهر؟

فهو سبحانه أولى وأحق بنا من الآباء والأمهات؛ لأنه الصانع لنا المصوِّر المنعِم علينا بجميع النعم الظاهرات والخفيات.

فأين وإلى أين المعدل عن إعظامه وإجلاله وشكره؟ فياويل لمن غفل عن اتباع ما أمر، والانتهاء عما نهى -فنهانا عما لا يرضاه، وأمرنا بأداء ما يرضيه- فلهى ساهياً عما يحقّ ويجب من تسبيحه، وخشيته وذكره.

فعليكم يابني أبداً ما بقيتم، وما بلغته قوَّتكم وما استطعتم باستشعار حبّه، والكلف بذكره في باطن ضمائركم، وخوفه ورهبته في علانيتكم وخَفِيّ سرائركم، وأن يكون حياؤكم منه أكثر من حيائكم من أمهاتكم وآبائكم، ومحبتكم له أعظم أضعافاً لا يؤتى على عددها من محبتكم لأولادكم وأحبابكم.

فمن ذا وأين ذا الذي هو أولى بكم ومن جميع الخلق بالتقوى والطاعة، والمودّة والحبّ من الله الإله البرّ الرؤوف الربّ الكريم، الذي يحتمل منا ما لا يحتمله أباؤنا البررة، ويحلم عنا مع وجوب عظيم حقه علينا فيما نفرط فيه من طاعته وإغفالنا ذكره، ولولا فضله وحلمه ورأفته وكرمه، لما حلم عنا ولا أَخَّرَنا طَرْفَةَ عين، إذ خالفناه وعصيناه فيما عنه نهانا وبه أمرنا.

فابدأوا يابني بطاعته وتقواه يكف الله بطاعته وخشيته كل من يطيعه منكم ويخشاه جميعَ ما يهمّه منكم من أمر آخرته ودنياه، فقد رأيتم كيف كرم الله ورحمته، ولطفه وإحسانه ورأفته بجميع خلقه، مع معاصيهم وظلمهم لأنفسهم، بإغفال عظيم ما يجب عليهم من واجب حقّه، لا يقطع بذلك عنهم ما يتصل بهم ليلاً ونهاراً من عطايا نعمه ورزقه، فاتقوا الله ربكم وبارئكم، ذا الإحسان والنعم عليكم، مُعْطِي جميع النعم - دقيقها وجليلها والخيرات كلها - عبادَه وخلقه من أهل الأرض والسماوات، فلله سبحانه الدنيا والآخرة، ومنه تعالى النعم فمنها الظاهرة والباطنة، فاتقوا الله فالوصية لكم يابني أفضل وأجزل من كل نفيس وعظيم من العطية.

[معنى التقوى]

فتقوى الله يابني فهي: الانتهاء عن كل ما حرم الله من جميع المعصية، وطاعته والمصير إليها، والإيثار لها والصبر عليها، والنجاة في الدنيا والآخرة لها من كل عظيمة وبليّة.

ألا ترون يابني كيف يقول الله سبحانه لرسوله وهو يذكر ما الرسول عليه من طاعته وحبه، فأمره أن يقول عنه تعالى لأتباعه وأصحابه فيما كانوا يزعمون أنهم عليه من حب الله، فقال الله لنبيه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] ثم أخبرهم بالذي يتبعونه عليه، وما الحبّ لله الذي أمرهم به، فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

﴿وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢] فخبرهم تقدس ذكره أن من لم يطعه ويطع الرسول فقد كفر، وأنه لا يحب إلاَّ المطيع له ولرسوله.

يبين ما ذكرتُ لكم في آخر قول الله سبحانه هاهنا فآخره موصول منه سبحانه في هذا الأمر بما قبله من القول، بيَّن فيه أن الحبَّ له طاعتُه وطاعةُ رسوله، ثم قال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران:٣٢] يعني سبحانه فإن أعرضتم وتوليتم عن طاعتي وطاعة رسولي التي بها أُمِرْتُم- ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

فعليكم يابَنِيَّ بطاعة الله وتقواه، وبغض معصيته وعداوة من عصاه، فتنجوا بإذن الله يابني بطاعة الله من كل بلاء وشرّ، وتظفرون بالفوز والملك الباقي الأكبر، من ثواب الله لمن أحبّه الله بالطاعة، وتنجوا يابني بتقواه من عذاب النار والخلد فيها، الذي حلّ بأهل المعصية ومن يتهاون بأمر الله فعصاه وخالفه.

فحرّموا على أنفسكم في أيامكم القصيرة ومدّة حياتكم اليسيرة ما حرم الله، واتقوه بالانتهاء عن معاصيه وعظائمها وكبائرها التي عَظَّمَ، فإنه لم يحرم سبحانه إلاَّ خبيثاً قبيحاً، كتحريمه لحم الخنزير والميتة، وحرَّم الدم المسفوح، فأيّ خبيث أو ممقوت منتن غثيث أخبث من الميتة والدم المنتن المسفوح؟ وكذلك ما حرم من الخنزير لنتنه وقبحه، فهو أقبح من كل مقبوح، وقد عوَّض بتحريم لحم الخنزير والميتة والدم، إحلال ما لا يحصى من لحوم الطير والدواب والبهائم.

[وصيته عليه السلام في ترك الزنا]

وحرَّم سبحانه الزنا فإن الزنا يابني عند الله من أكبر الكبائر وأعظم الفحشاء؛ لما في ذلك من فساد الأنساب وخراب الدنيا، والدخل في الأولاد والأرحام، وبطلان ما حكم الله به في ذلك من الأحكام، فليس في الزنا إربة في شهوة إلاَّ وفي النكاح أفضل منها، بل في الزنا أعظم المعصية في مواقعة الفاحشة العظمى الكبيرة التي أَكَّدَ الله النهي عنها، وإنما يزني الزاني بمرأة من النساء قد أحل الله بالنكاح أجمل منها جمالاً، وأفضل منها حالاً، وأكمل فيما يتوق إليه الرجل من المرأة كمالاً.

فلو لم يحرّم الله الزنا في كتبه جميعاً، لكان في المعقول أنه لا يجوز ولا يحسن ولا يصلح في معقول جميع البشر كلهم معاً أن يأتي فاسق ظالم مُتَعَدٍّ في حرمة غيره ما يكره أنه يُؤْتى إليه في امرأته وحرمته.

كيف وقد حرم الله الزنا في جميع كتبه وأحكامه، وحرَّمته جميع رسله، فالحذر له الحذر، فإنه من أعظم ما نهى الله عنه وزجر، والبعد منه البعد في الكبير والصغير، فإن الله -وله الحمد- قد عصم أباكم منه صغيراً وكبيراً، فلم يأت -ولله المنة عليه في ذلك- زنا قط جهرة ولا سراً.

قال الله تبارك وتعالى في الزنا وتحريمه، والنهي عنه وتعظيمه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢] وقرن الزنا بالكبائر والفواحش العظام الكبار، ووعد عليه وعليها الخلود

في عذاب النار، فقال في الزنا، وفيما وعد من العذاب عليه وعليها، وقرنه بالشرك وعبادة الأصنام وقتل النفس التى نهى الله عنها الحرام، وهو يصف حال من نجا من عذاب النار، من أوليائه وأهل طاعته الأبرار، وأن صفتهم وما به نجاهم- الانتهاء عن هذه المعاصي العظائم الكبار، فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] فحرّم الله قتل النفس إلاَّ بالحق، وحرم قتلها ظلماً، وأحلّه إذا كان المقتول كافراً ظالماً، ولم يحلّ الزنا في فقر ولا غنى، ولا أباحه قط سراً ولا علناً.

فالحذر له الحذر، والهرب منه الهرب -يابني- فإن الله قد أغناكم عنه غنى واسعاً، موجوداً بالنكاح لكرائم النساء، وجعل منه بدلا في كل ناحية وفج من فجاج الدنيا، بالأزواج الحلال الحسان، بالمهور اليسيرة، والأثمان في ملك اليمين القليلة، قال الله سبحانه وتعالى في صفة المؤمنين، وهو يخبر منهم عن الناجين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ

عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون: ١ـ ١١].

فأخبر الله سبحانه وتعالى في هؤلاء الآيات أن من فعل فيها وفيما وصف منها ما به أمر، وانتهى عما نهى عنه في هؤلاء الآيات وازدجر، كان عنه سبحانه راضياً، وجعله للفردوس في جنات النعيم وارثاً، وكان فيها باقياً مخلداً.

فماذا يابني في هذه العشر الآيات من الوصايا من الله الشرائف الكريمات؟ فأي وصايا لا تبلغها وصايا قد أَمَرَتْ بفضائل الخيرات والمكارم ونَهَتْ عن منكر جليل من فاحش البلايا.

وكم يابني لسيدي وسيدكم، ومولاي ومولاكم، في كتابه من هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبيه من وصية ووصية جامعة واعظة بليغة، وعظات حكيمة نافعة، فقفوا إذا قرأتموه على وصايا الله فيه الجامعة تعرفوا إذا وقفتم وتفهمتم الأمور كلها الضارة والنافعة.

[وصيته عليه السلام في ترك اللواط]

واحذروا يابني عصمكم الله الخطيئة والفاحشة العظماء التي ليست خطيئة ولا فاحشة أعظم منها فوق الأرض ولا تحت السماء، وهي الفاحشة الكبرى، وقد نهى الله عنها وزجر في مواضع كثيرة من القرآن نهياً، وتحريماً مؤكداً مكرراً وهي من أنكر المنكر عند من آمن وكفر، من كل أسود وأحمر، وهي إتيان الذكور، وذلك عند الله من أفحش الكبائر والشرور، ولو لم ينزل الله من ذلك نهياً وتحريماً؛

لكان ذلك في معقول البشر والخلق كلهم جميعاً حراماً، وخروجاً من المعقول كبيراً فضيعاً قبيحاً هائلاً منكراً أن يكون ذَكَرٌ يركب وينكح ذكراً؛ لأن الذكران إنما خلقهم الله لمزاوجة الإناث؛ لما في ذلك مما أراد الله سبحانه بالناس من النماء والتناسل والكثرة والانبثاث، فاعلين لا مفعولاً بهم، والفعل منهم إنما أحله الله لهم في أزواجهم وملك أيمانهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١].

وقال في تحريم إتيان الذكور مردداً، وفيما عاقب به من فعل ذلك وما هو عليه من سخطه لمن أتاه مؤكداً وهو يذكر عن نبيه لوط، وما كان من إنكاره على قومه لهذا الذنب العظيم عند الله المسخوط: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] وقال: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٥-١٦٦].

وقال سبحانه عن لوط صلى الله عليه وسلم، فيما كان ينهاهم عنه من الذنب الأعظم المسخوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. وقال سبحانه وهو يخبر عن تدميره لهم، وما عذبهم به من الخسف بهم، ورميهم بالحجارة

قبل الخسف، وما حلّ بهم من الدمار والحتف: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٢].

[ذكر ما جاء من الأخبار في اللواط وعقوبته]

وفي الخبر الثابت الصحيح وما أنزل الله من الحجارة والعذاب الأليم: أن ملكاً من الملائكة أُمِرَ بقلع أرض قوم لوط سخطاً من الله سبحانه عليهم، فيما كانوا يأتون من عظيم الفاحشة، فقلع أرضهم بهم من أسفلها، وحملها بهم على جناحه عند الصبح حتى أقلَّها، وأمر الله نبيه لوطاً أن لا يلتفت إليهم؛ لئلا يرى عقوبتهم وهولها، فيفزع صلى الله عليه وسلم ويذعر لما يرى بعذابهم من الفظاعة والهول الأكبر.

وذلك أنه ذكر أن الملك لما قلع أرضهم بجناحه وهم فوقها، رماهم الله بحجارة من سجيل وهو يقلبهم وأرضهم في الهوى.

ورُمُوا فيما ذُكِرَ من الأخبار بشهب من النيران فأشعلتهم، وأخذتهم الحجارة من السجيل فرضختهم، ثم قلب الملك حين علا بهم في الجو أرضهم فجعل عاليها سافلها عقاباً لهم.

فأيّ أمة بجرم أو ذنب ممن أهلك من الأمم دُمِّروا بمثل هذا التدمير، وعُذِّبوا لشدة سخط الله عليهم بمثل هذا العذاب الهائل الكبير؟

وكذلك ذُكِرَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه أتي

بذكرين من الرجال أتيا الفاحشة من اللواط فأمر بهما فرفعا إلى أعلى سور حائط عال ثم نكسا فطرحا إلى الأرض من فوق السور وأتبعا بالحجارة رمياً، حكماً منه عليه السلام فيهما بمثل ما أمكنه بشبيه عقوبتهما بما فعل الله بقوم لوط في مثل فعلهما وخطيئتهما.

وجاء الخبر المنقول الثابت الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((اقتلوا الفاعل والمفعول به)) ولم يجعل لقتله تأخيراً عنه، ولم يأمر فيه بضرب ولا حدّ من الحدود إلاَّ القتل.

والحذر يابني في الحداثة من أسنانكم والكبر لهذه الخطيئة العظمى والذنب الأكبر، فإنه عند الله سبحانه من أكبر الكبائر وأنكر المنكر، فاحرسوا منها أنفسكم وذراريكم، واحذروا أن يخلو بهم في صغرهم أحدٌ ممن تجهلون خبرهم من جميع من يأوي إليكم، حتى تكمل عقول أولادكم، ويفهموا ما حرّم الله عليهم، وما في هذا ومثله من عقوبة خالقهم وسخط بارئهم؛ لأن هذه العظيمة من الفواحش مما قد سلم الله والدكم -ولله المنة عليه- صغيراً وكبيراً منها، فلم يأت ذكراً ولم يأته ذكر، ولله المنة عليه في ذلك الأكبر، وبالله عصمة من عصم وسلامة من سلم.

[وصيته عليه السلام في ترك الخمر وكل مسكر]

وأحذّركم يابني ثم أحذركم، وأنذركم يابني عصمكم الله ثم أنذركم، الخطيئة المحرمة في كتاب الله وهي باب إذا أدخله إبليس العبد طرحه دخوله في كل بليّة من مساخط الله، فإنها أمّ الخطايا

وباب البلايا الذي يفضي بمن دخله إلى كل شر، ويوقعه في كل فاحشة ومنكر.

وهذه الخطيئة التي حذرتكم فهي ما نهى الله عنه وحرمه من شرب المسكر؛ فإن الله لم يحرمه إلاَّ لما فيه من الشرور، وما يحمل عليه ويصير إليه من شربها من قبائح الأمور، فإن الله سبحانه قد بين العلَّة التي حرّمها لها، وسمَّاها اسماً جامعاً؛ فأفهم الله سبحانه وأسمع من كان ذا فهم وعقل سامعاً أن العلة التي حرم لها الخمر، هي ما ذكر أنها تحمل عليه، ويصير إليه من شربها من قبائح الفعل والمنكر فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

فذكر تبارك وتعالى فعل الخمر، وما تحمل من شربها من قبائح الأمر عندما يصير إليه من السكر، وما يوقع سكر الخمر بين من سكر بشربها من العداوة والبغضاء والنسيان لذكره، وما يصد به السكر من سكر عن الصلاة لله والذكر.

فزعم من فسق من سفهاء هذه الأمة ومن جهل اللسان العربي من هذه العامة أن الخمر إنما هي بما عمل من العنب، وليس ما قالوا في هذا بمعروف في اللسان عند العرب، إنما الخمر في عربي اللسان، وما يفهم عند العرب في البيان، ما خمر بالتعفين حتى أسكر، وقد يخرج اسم الخمر في اللسان أن يكون ما أفسد العقل وخامر، فكل

مخامر للعقل بالإسكار من الأشربة فهي خمر.

والمخامرة فهي المخالطة، وما خالط من الأشربة العقل بالإسكار وخامره فهو خمر مخامر، وكذلك يفعل في المخامرة للعقل كل شراب مسكر، فما خامر وأسكر العقل كمخامرة الخمر وإسكارها ففعل فعلها كان عند من فهم عن الله مثلها، وإنما حرمت الخمر لمخامرتها للعقل بالإذهاب والسكر، وما تحمل عليه من الإثم والشرور والمنكر.

ولا فرق بين إسكار الأنبذة والخمر، بل النبيذ أشد للعقل إذهاباً ومخامرة وإسكاراً، فيما أخبرني به من شربهما جميعاً ممن يدَّعي ملَّة الإسلام، وممن سألته من النصارى، فكل هؤلاء يزعمون أن النبيذ إذا شربوه كان أشد في السكر من خالص الخمر.

والنبيذ فيما يقولون أشد للعقل مخامرة بالفساد والسكر، وأحمل لمن شربه على أبواب الفضائح والفجور والكفر.

[ذكر ما جاء من الأخبار في تحريم الخمر وكل مسكر]

وفي الخبر المنقول الذي لا شك فيه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنه حرم كل ما أسكر قليله كتحريمه من كثيره، وأنه أقام الحد على من شرب الخمر، وعلى الشارب لغيره من النبيذ نبيذ الفضيخ والتمر؛ فأجرى هذه الأشربة كلها التي تسكر مجرى الخمر؛ لأن فعلها فعل واحد في المخامرة للعقل بالإذهاب والسكر، وما تحمل عليه وتوقع فيه مَنْ شربها من الفجور والإثم والشر.

فأجمعوا جميعاً أن رسول الله ﷺ قال: ((ما أسكر كثيره فقليله حرام)) وأنه ﷺ حدَّ من شرب النبيذ والخمر حداً واحداً.

وكذلك ذكرت العامة عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: (الخمر من خمسة أشياء: من العنب والتمر والبر والشعير والعسل)، فأجرى هذه الأشياء الخمسة إذا عمل منها المسكر مجرى الخمر وسمَّاها خمراً.

وقد أخبرنا غير مرة أن الخمر في اللسان العربي الشراب المخامر المخالط للعقل للإفساد والسكر.

وذكر أن عمر بن الخطاب قال في ابنه عبيدالله بن عمر: بلغني أن عبيدالله وأصحاباً له شربوا شراباً لهم لأسألنَّ عنه، فإن كان يسكر حددته وحددت أصحابه حد الخمر، فسأل عنه عمر فأخبر أنهم شربوا شراباً يسكر، فلم يسأل عن الشراب قليلاً شربوا منه أو كثيراً وحد ابنه عبيدالله وأصحابه، ورأى الشراب إذا كان يسكر خمراً.

وأجمع أهل المدينة وفقهاؤهم وغيرهم أن رسول الله ﷺ أتي برجل شرب مسكراً لم يذكروا أنه كان خمراً؛ فلما أيقن ﷺ أنه شارب -وذلك أنهم ذكروا في الخبر أن النبي ﷺ أمر بالرجل أن يُسْتَنْكَه ويُشَمّ ريحُ الشراب منه، فلما أُخْبِرَ ﷺ أن ريح الشراب موجود من الرجل- ثم لم يسأل رسول الله ﷺ أكثر من شربه أو أقل، وحكم عليه بأن يضرب حداً، ودعا بالسوط فأتي بسوط يابس قاحل، وإنما كانت السياط حينئذ تعمل من جلود الإبل، فخشي

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن ضرب بذلك السوط أن يقتله، ولم يرد قتله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما أراد أن يؤدِّبه وينكله فقال: ((ائتوني بسوط دون هذا)) فأُتي بسوط ليس بالقاحل اليابس ولا بالمارن المفرط في اللين فأمر بالرجل فحُدَّ وجُلِدَ في ظهره ثمانين.

فاحذروا يابني ثم احذروا شرب الكثير والقليل بل أقل القليل من كل شراب أسكر، فإن الشراب المسكر باب كل بلية وفسق وفجور وشر.

ولا اختلاف بين هذه الأمة الخاصة منهم والعلماء والجهلة من العامة أن السكر حرام، ثم ذكروا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((ما أسكر كثيره فقليله حرام)) وحرم الله الخمر التي تخامر العقل بالسكر.

وأجمعت الأمة على تحريم قليلها وكثيرها، وما الخمر في الإسكار وما تحمل عليه من المعاصي الكبار إلاَّ كغيرها.

وقد ذكرت علماء العامة والخاصة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من التغليظ في النهي عن شرب المسكر والتحريم لكل ما أسكر، فإنه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الشارب: ((إنْ شرب فاجلدوه، ثم إن عاد فاجلدوه، ثم إن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاضربوا عنقه)) فأجراه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حكم الله وحكمه بعد ثلاث مرار وشرب الرابعة مجرى أهل الكفر والجحدان والمعاندة، فأباح دمه ولم يرَ له حرمة المؤمن ولا من هو على الملّة.

وروي عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من الحنطة خمر، ومن الشعير خمر، ومن التمر خمر، ومن الزبيب خمر، ومن العسل خمر)).

وروي عن علي عليه السلام أنه قال: (الخمر من خمسة أشياء: من التمر والزبيب والحنطة والشعير والعسل).

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قام على المنبر بالمدينة فقال: (يا أيها الناس نزل تحريم الخمر حين نزل وهي من خمسة أشياء: من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل).

وروت العامة جميعاً لا اختلاف بينهم عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: ((ما أسكر كثيره فقليله حرام)).

ورووا عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل مسكر حرام)).

وذكر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من مات وهو مدمن خمر لقي الله وهو كعابد وثن)).

وذكر عن مرثد بن عبدالله اليزني عن ديلم الحميري قال سألت رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله: إنا بأرض باردة نعالج فيها علاجاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من القمح نتقوَّى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، فقال: ((هل يسكر؟)) قلت: نعم، قال: ((فاجتنبوه))، ثم جئته من بين يديه فقلت له مثل ذلك، فقال: ((هل يسكر؟)) قلت: نعم، قال: ((فلا تشربوه))، قلت: يا رسول

الله فإن الناس غير تاركيه، قال: ((فإن لم يتركوه فاقتلوهم)).

وروى ابن علية عن ليث عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((كل مسكر حرام))، قال: وقال ابن عمر: كل مسكر خمر.

وروى لنا بعض المحدثين عن أبي بكر عن وكيع عن الأوزاعي عن أبي كثير أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((الخمر من هاتين الشجرتين العنبة والنخلة)).

وحدثنا بعض المحدثين عن جعفر الرماني قال: حدثنا علي بن قادم، قال: حدثنا عبيدالله بن عمر القرشي الجزري، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا حميد الطويل، عن أنس، عن أبي عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن البيضاء: أنهم كانوا في نفر من أصحابهم في بيت أبي طلحة وأنس يسقيهم حتى كاد أن يأخذ فيهم الشراب، قال: فمرَّ رجل من المسلمين، فقال: ألا هل شعرتم أن الخمر قد حُرِّمت، قال: فوالله ما قالوا: حتى نتبيَّن أو نعلم، قال: فقالوا: يا أنس إكفأ ما بقي في آنيتك، قال: فهرقتها، فما عادوا فيها حتى لقوا الله، قال: وإنما كان الشراب من البسر والتمر، قال أنس: هي كانت خمرنا يومئذ.

وحدثني بعض المحدثين، قال: حدثنا جعفر الرماني، قال: حدثنا عبيدالله بن موسى، قال: أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الزبيب والتمر هي الخمر)).

حدثنا بعض المحدثين، عن جبير بن عبدالواحد قال: حدثنا عباد بن يعقوب قال: حدثنا خالد بن حيان الخراز، عن زيد بن راشد، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شرب مسكراً نجس ونجست صلاته أربعين يوماً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقيقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال)).

قال خالد بن حيان: عن زيد بن راشد، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: مسكراً، ولم يقل: خمراً.

ولكفى من الخبر في تحريم الله من الأشربة لجميع السكر بقوله سبحانه في التنزيل، وهو يذكر النعمة فيما أخرج لعباده من ثمر الشجر المأكول: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]؛ فقدّم السكر، وأعلم عباده أنه عنده من المسخوط المنكر، بكلام بليغ عند العرب يفهمونه من المقدَّم والمؤخَّر؛ لأن ذكر المسكر في هذه الآية بعد ذكر النعمة في مأكول الثمر من الكلام المفهوم عند العرب تقدم أو تأخر، كأنه عني سبحانه: ومن ثمرات النخيل والأعناب رزقاً حسناً، تذكيراً لهم بالنعمة في حسن الرزق، ثم قال: تتخذون منه سكراً، سخطاً منه تعالى بما يصرف الثمر إليه أهل الفسق من تهيئته مسكراً؛ إذ كان المسكر عند الله مسخوطاً منكراً، وإنما نزل القرآن باللغة العربية التي هي أبلغ عند العرب في البيان، فيؤخر عن موضعه، ومعناه متقدّم

مع أوّل الكلام في مكانه؛ إذ كان أبلغ في اتساق بلاغة اللسان، وما هو عند العرب أجود في تصريف نظم البيان، كقوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه:١٢٩] فآخر هذا الكلام مع أوّله، وإن كان قد دخل بينه نظم البلاغة وفرّق بين فواصله، فإنما أراد تبارك وتعالى: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً.

ففي هذا يابني ما نبهكم وكفاكم، فالحذر من قليل شرب المسكر وكثيره؛ لما هو مسخوط محرَّم عند ربكم ومولاكم.

فالحذر يابني من المسكر قليله وكثيره، الحذر الحذر، فإنه حبالة إبليس التي أوقع بها من لا نظر له لنفسه من الخاصة والعامة في كل منكر وفجور وشر، ولو لم ينزل الله عنه نهياً ولا فيه تحريماً لكان السكر والمسكر عند كل ذي لبّ عاقل منكراً عظيماً؛ لما يصير إليه من شربه من فقد عقله، والافتضاح بذهاب فهمه وخبله، وكشف عورته والتمرغ في سلحه وبوله، مع ما هو أعظم من ذلك عظماً، من إتيان الفجور عند السكر الذي جعله الله مسخوطاً عنده محرماً.

فلم أعلم والحمد لله لكم أباً ولا جداً إلى علي عليه السلام أعلمه يشرب قط نبيذاً ولا مسكراً، بل كلهم يرى ذلك من أعظم الفواحش منكراً، ومن عظائمها وكبارها فسقاً وخبثاً وشراً.

تولاكم الله - يابني- بالانتهاء والازدجار، والحذر والاجتناب والاعتزال، لكل ما أسخط خالقكم وربكم ذا الكبرياء والعزة

والجلال، وسلَّمكم الله مما قد عمَّ أهل زمانكم ودهركم، من الشرور والحيرة والخذلان، بارتكاب كبائر المعصية، وما يستبيحون بجهلهم وظلمهم لأنفسهم وقِلَّة يقينهم، بما حذّرهم الله من عقابه من المنكرات والفواحش المُهْلِكَة المُرْدِيَة.

[وصيته عليه السلام في هجر المدن والقرى]

فليس النجاة لكم ولمن معكم إلَّا الهرب في البوادي والأودية والجبال منهم، والتحبّب إلى خالقكم بهجرتهم والبعد عنهم، فإن في مساكنتهم والاختلاط بهم فساد القلوب والخبال الأكبر؛ لما هم عليه وفيه من فعل كل فجور وفسق وشر، إلاَّ أقل القليل منهم.

فالهرب الهرب، والبعد البعد عنهم، فإن المدن والقرى موضع اللؤم والشر والبلايا؛ بما تجمع وتضم من شرار الناس والأوغاد، وما ينضم فيها ويأوي إليها من أخلاط الأجناس، وسقاط شرارهم من كل بلاد فيها، وفيها سقاط الأمم، ورذلات العرب والعجم، من حمران الأجناس وسودانهم، المغتربين عن بلدانهم وأوطانهم، والمختلفين في عقولهم وهممهم وألوانهم، ومذاهبهم وأخلاقهم ودياناتهم؛ فالحياء والاحتشام عندهم وبينهم مرفوض ومطروح، وكلهم فغريب عن بلده وموضعه، لا يستحي من خنا ولا خزي أتاه وركبه ولا فضوح، ولكل جنس منهم ضَمَّتْه هذه القرى والمدن في بلده وأصله طباع وخلق، وهو عندهم كيس محمود، وعند من يعقل همج قبيح.

فلسودانهم في الطرب والزفن[1] واللعب والمنازعة إلى ما يغلب على طباعهم في بلادهم من الشرور وقبائح الأمور ما لا يبلغه في الطرب والزفن واللعب نواهق الحمير.

والحمران أجناسهم مذاهب أخرى كثيرة لا تحصى من كل شر وبلاء، وفسق ومجون وخنا، من إتيان كثير منهم للذكور، وشهوة من لا تشتهيه الحمير، ولا البهائم الخنازير منها ولا غير الخنازير، من إتيان الذكران، وهذا البلاء وهذه الفاحشة العظمى فيما بلغني فأصلها وبدؤها ومخرجها من أرض العراق وفارس وخراسان، إلاَّ من عصم الله من الأمم، أو من كفه وردعه عن ذلك دين وورع وطباع كرم.

مع ما تضم المدن والقرى من عساكر المتغلِّبة والسلاطين، وما ينضم إلى العساكر ويأوي إليها من سقاط الناس والأجناس والشياطين، وما في المدن والقرى من منكرات الفواحش والبلاء، واستجازتهم كبارهم وصغارهم اللفظ بالفحش والخنا، فهو بين كبارهم وصغارهم عادة قد أجروا أنفسهم عليها لا يستوحشون منها، ولا يعظمونها ولا يتناهون عنها.

فالمنكرات بينهم لإكثارهم منها ولجاجتهم فيها معروفة، والقبائح لظهورها بينهم لا يستوحشون منها بل هي مألوفة،

---

(١) الزَّفْنُ: الرَّقْصُ. اهـ (لسان العرب).

والغالب على كل مكان عند القرى والمدن السفساف والسفل الذين لا يستحيون من غيّ ولا ردى، ولا من فضائح العمى، يبولون ويتغوَّطون على أبوابهم وفي أفنيتهم، ولا يطهرون ما يسكنون من بيوتهم، ويكشفون في أفنيتهم وأزقّتهم البول والخلاء وما أمروا به من ستر عوراتهم، فهم كالبهائم التي لا تنطق ولا تعقل، وكل من لم يتنح عنهم ويبعد منهم فهو مشارك لهم في سوء فعلهم، وآثم ظالم لنفسه في مجاورتهم والاختلاط بهم؛ لأن أقل ما لله عليه -إذا لم يمكنه الإنكار على من يسخطه سبحانه ويعصيه فلم يستطع منهم من مساخط الله تبارك وتعالى- أن يهاجر عنهم ويبعد عنهم في أوسع أرض الله تبارك وتعالى، قال في تنزيله ووحيه، وما عهد فيه إلى عباده محذراً في تركهم أمره ونهيه وهو يذكر من توفاه الملائكة ممن رضي من المستضعفين وغيرهم بمجاورة أهل الظلم والمعصية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء:٩٧].

فتفهّموا يابني قول ملائكة الله ربكم لمن ظلم نفسه بمساكنة من فسق وعصى ربه، فإنما عنى بقولهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء:٩٧] أي: ما فعلتم في أيام حياتكم فيما أمرتم به من الإنكار على مَنْ جاهرَ بالمعصية خالقَكم وربَّكم، فقال الظلمة الخاسرون عند الندامة والحسرة وهم يعتذرون: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء:٩٧] فلم تكذبهم الملائكة فيما ذكروا من استضعافهم وضعفهم، وقالت الملائكة لهم محتجين عليهم لربهم، مبكِّتين لهم

موقعين على ما ارتكبوا من عظيم ذنبهم في المجاورة والمساكنة، وترك الانتقال عن أهل المعصية والمجاهرة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء:٩٧].

ثم أخبر الله سبحانه عن هذه الطائفة الذين خاطبهم عندما توفتهم رسله من الملائكة فذكر تعالى سخطه عليهم وحكمه فيهم فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] فلو لم ينزل الله نهياً عن مساكنة أهل المعصية، لكان ينبغي لمن عقل أن يفرّ ويهرب بنفسه وولده وحرمه من مجامع الناس وقراهم ومدنهم؛ لظهور فساد الناس في المدن والقرى، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، وهم أظهر الناس فسقاً، وألأمهم لؤماً وأدقّهم أخلاقاً.

فالكرم والكريم يابني في المدن والقرى عند أكثر أهلها غير مرضيّ ولا ممدوح، وذو الدناءة والبخل واللؤم عندهم مقبول مرضي غير معيب ولا مفضوح، وما بالقرى والمدن في الكبار والصغار من منكرات المجون والشرور والفحشاء أكبر وأعم وأظهر من أن يؤتى له على عدد وإحصاء، مع ما في القرى والمدن يابني من فساد اللغة والكلام واللسان، واختلاط غثاء الناس من الحمران والسودان، وتبرج الحرم لفساد من بالقرى من العرب وسفساف العجم، فالغيرة من أهل المدن أو أكثرهم على الحرم متروكة مطروحة، والحرم بتبرجها في الأسواق والطرق مفضوحة.

فأفٍ يابني ثم أفٍ لمن كان ذا حرية وكرم وأنف، سكن في هذا

الدهر المدن والقرى، ما دامت على مثل ما هي عليه من ذكرهم هذا من المنكرات التي ذكرنا فيها والفحشاء، وما غلب على أهلها الكبار منهم والصغار والنساء من الخنا والفساد واللؤم والدناءة والنذلات والردى.

فأين أنتم يابني عن طاعة ربكم فيما أمركم به ودلكم عليه من المهاجرة، وترك المجاورة لمن يسخطه ويعصيه، والامتثال لمسالك أهل الشرف من آبائكم وسلفكم وأوّلكم في ترك المدن والقرى ومجاورة أهلها، والتنحي إلى البادية والاعتزال عن سفساف القرى وغوغائها وسفلها.

[ذكره عليه السلام هجرة والده القاسم عليه السلام]

فأقرب من به في ذلك تقتدون، وبفعله في الهجرة عن القرى والمدن تأنسون، جدكم الأقرب أبي وأبوكم القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه ورحمه، وقبل عزلته وهجرته منه، وقد كان رحمه الله زماناً طويلاً من عمره بالمدن مدن الحجاز ومدينة مصر ساكناً، داعياً إلى طاعة الله، فلما لم ير في أهل القرى والمدن إلى طاعة الله ربه وحقّه ومرضاته مستجيباً، ولم ير فيها إلاَّ غرقا في الجهل والمعاصي، لا تائباً إلى ربه ولا منيباً، ورأى القرى والمدن أصل كل منكر وضلال، وتجمع الفجار والفساق والأرذال الدناة والأفسال، تبرَّأ إلى الله منهم، وهاجر إلى البادية والجبال عنهم، فوفَّقه الله للصواب في ذلك وأرشده، وأراه له الخيرة في دنياه وأسعده، فخلا بنفسه وأهله

وولده، وجرى حكمه عليهم وعلى من تحت يده، فصار -نظراً واختياراً، بعد أن أحاط بالمدن والقرى وأهلها اختباراً- إلى بادية المدينة وجبالها، وتنحَّى عن المدينة وأهلها وحل في جبل من باديتها يسمى قُدْساً[١]، فكان به حيناً وكنا به معه أطفالاً صغاراً، لا يعاين فسقاً ولا فجوراً ولا منكراً، ثم انتقل إلى وادي الرس[٢] وجباله، فكان خالياً فيه بولده وعياله، ما أمرنا فيه من أمر أطعناه، وما عرفنا في الدين من حق أو قول في الهدى والصواب قبلناه.

ثم انتقل إلى فرع آخر من جبل يسمى الأشعر[٣] من جبال جهينة، بعد أن أقام عمراً طويلاً وسنين كثيرة في وادي مزينة فكان منه بجبل وفرع يدعى فرع المسور[٤] حتى توفي فيه رحمة الله عليه

(١) قال في معجم البلدان لياقوت: قال الأزهري: قدس وآرة جبلان لمزينة وهما معروفان بحذاء سقيا مزينة، وقال عرّام: بالحجاز جبلان يقال لهما القدسان الأبيض وقدس الأسود وهما عند ورقان، فأما الأبيض فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها ركوبة وهو جبل شامخ ينقاد إلى المتعشي بين العرج والسّقيا، وأما قدس الأسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها حمت، والقدسان جميعا لمزينة وأموالهم ماشية من الشاة والبعير، وهم أهل عمود، وفيها أوشال كثيرة.

(٢) جبل الرس بالقرب من فرع المسور، يقع جنوب غرب المدينة المنورة ويبعد عنها ٦٠كم، ولد فيه الإمام القاسم الرسي عليه السلام وله هناك مسجد ومنزل، وهي قرية تعرف اليوم بالدور، وما زالت آثارها قائمة حتى الآن.اهـ (من الموسوعة).

(٣) قال في معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي: الأشعر على وزن أفعل، من كثرة الشعر، وهو أحد جبلي جهينة؛ سمّي بذلك لكثرة شجره والثاني هو الأجرد، وقد تقدّم ذكره في حرف الهمزة والجيم، سمّي بذلك لانجراده، ويقال له: الأقرع أيضاً. والأشعر يبان وراء المدينة، ينزله قوم من مزينة. والأجرد شام.

(٤) قال في الموسوعة: الفرع: فرع الردادي أو الفرع أو فرع المسور: من أودية الأشعر وهو قرب سويقة الثائرة، بينها وبين مثغر، على نحو ٨٠كم من المدينة، دائري اشكل، وهو الفاصل بين سلسلتي =

وقبض، وكان قد عاهد الله وأعطاه من نفسه أن لا يسكن هو ولا أحد يطيعه من ولده ما بقي حياً مجامع الناس بين المدن والقرى، لما ذكرتُ لكم يابني قبل هذا من قولي وفسرت، مما تجمع القرى والمدن من أهل الفسق والفواحش والمنكر والردى، وما في أهل المدن والقرى والمدائن من أهل الفسق والفواحش، من الجهل والمعاندة في الدين، وما بها وفي أهلها من الفساد والمفسدين، وأهل المجاهرة بكبائر المعاصي والظلم المعتدين.

[ذكره عليه السلام صفات البادية وأهلها]

فجعل الله الروح والراحة في بدنه، وأعقبه سكنى البادية واعتزال الناس العفاف والصلاح في أهله وولده، فأقام في البادية والجبال قبل وفاته نحواً من أربعين سنة لم يخل فيها قط من لطائف الله وصنع الله وسعة رزقه، مع البعد والتطهر عن شرار خلقه، في أطيب مساكن في تلك الأودية الطاهرة، والجبال والبوادي الصحيحة البريئة من

الأشعر والفقارة.. ثم ذكر ما ذكره المؤرخون حتى قال نقلاً عن السمهودي: الفرع –الذي بالفتحتين–: من أودية الأشعر قرب سويقة بينها وبين مثعر على نحو مرحلة من المدينة، وهو فرع المسور بن إبراهيم الزهري، أما الذي بضمتين أو ضمة وسكون فعمل واسع عن يسار السقيا به مساجد نبوية وقرى.اهـ قلت: وفرع المسور يعرف اليوم بفرع الردادي وهو قرب سويقة المدينة (سويقة الثائرة) التي توارى فيها محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم وخرجا منها، ومات بها موسى الجون. قلت: والأصح عندي أنه لقب بالمسور بالكسر لسكناه الفرع –بالفتح– وتواريه فيه، لا سيما أن ولده محمد كان مقتله بفرع المسور كما ذكره الأصفهاني في مقاتل الطالبيين، والبيهقي في اللباب، وكان تواريا فيه من قبل يحيى وإدريس ابنا عبدالله المحض كما ذكر ذلك ابن سهل الرازي في أخباره، وتخفى فيه القاسم بن إبراهيم طباطبا وولده، ومات وقبر فيه عند جبل الرس.اهـ

الوخامة التي تكون في المدن من الأرياح المنتنة، والسكك القذرة والأزقة والطرق التي فيها غير طاهرة، وأبخرة الكرابيس والنجاسات المفسدة للجو والهوى المؤرثة للأمراض والوباء، بل كنا معه رحمه الله في أطيب الغذاء مما يكون في البادية في أطيب المساكن والمحال من أودية البوادي والفروع التي فيها من الجبال نتنسم صافي الهوى، ونشرب أكثر مدة دهرنا ماء الغمام والسماء، وننال فيها بلطف الله طيب الغذاء، مما يكون في البادية من سمين لحوم الماشية، وما جعل الله في المواشي من أشربة اللبن الخالصة السائغة في أطيب الساحات طيباً، وأطهرها طهارةً، وأفسحها منظرةً، وأصفاها هواءً، وأقلها كدراً، لا يسمع خنا ولا يرى فسقاً ولا منكراً، ولا صوتاً ملعوناً، كبَراً ولا وتراً[1]، مع قوم نختلط بهم أحسن قوم جواراً، وحرمهم فأشد حرم الناس استتاراً، من خير أبناء من العرب وأهل البادية، أشكر قوم للمعروف شكراً، وآلفهم إلفاً، وأحسنهم جواراً، ومن جاورهم فاعتزلهم، وكف الأذى والمكروه عنهم، كثر ثناؤهم عليه، وشكرهم له، وسلم منهم، وكانوا له إذا أحسن قليلاً إليهم، وبثّ أقل المعروف فيهم كالخول والأعوان، إذا استكفاهم بعض الأمور كفوه، وإن استعانهم على نائبة تنوبه أعانوه.

(١) قال في النهاية في غريب الأثر: الكَبَر بِفَتْحَتين: الطَّبْل ذُو الرَّأسَين. وَقِيلَ: الطَّبْل الَّذِي لَهُ وَجْهٌ واحِد.اهـ والوتر: قال في الموسوعة: الوتر الموسيقي هو حبل مشدود يصدر صوتاً رناناً إذا حرك أو ضرب، وهو مستعمل في كل الآلات الموسيقية الوترية (نسبة للوتر).

[ذكره عليه السلام صفات أهل المدن والقرى]

وأهل القرى يابني وسفساف من في المدن من سكانها كلهم تجّارهم وصنّاعهم وغيرهم، وكذلك من اختلط بالأسواق والقرى من العرب وجاورهم، فهؤلاء كلهم ليسوا بذوي حرية ولا ذمام، ولا يتخلّقون بخلق من أخلاق الكرام، ولا يوفون بموعد وعدوه، ولا يوجدون حق الجوار لمن جاوره، وإن استعانهم جارهم على نائبة لم يعينوه، وإن وعدوه وعداً أخلفوه، وإن قالوا له قولاً لم يصدقوه، وكلما كان عليهم فيه أدنى كلفة وأقلها لم يكتلفوه، وليس للجار عندهم غير الخداع له والمنافقة، فإنهم إذا لقوه تملقوا، وإن استرفقهم بسلف أو رفق لم يرفقوه، وكذلك كل من اختلط بالقرى من العرب فهو في اللؤم ودقة النظر وسوء الأدب كأهل القرى والأسواق يتخلقون بأخلاقهم، ويفسدون بفسادهم.

فالبعد يابني عن أهل القرى والمدن لكم ولمن معكم خير من قربهم، وأسلم لكم في دينكم، وفيما بين ربكم وبينكم، وليست العزلة عن المواضع التي تجمع أخلاط الناس ويحيط بكم ما فيها من شرور الأشرار وما فيهم من الدنس والأنجاس كالبوادي التي تتسع بأهلها، وتضم من فيها من سكانها، كما تجمع القرى وتضم وتخلط بين من فيها من رذالة أشرارها وسفلها؛ لأن كل ساكن في البادية فهو وحده يمكنه أن يكون في عزلة وناحية.

وسكان القرى متضامون في السكك والدور، مجتمعون يرى

بعضهم ما في بعض من الفساد والمنكر والشرور، يأنس بعضهم ببعض فيما يفعلون من منكرات الفجور، ثم لا يجد من يسكن بينهم بداً من مضامتهم ورؤيتهم، ومعاينة فواحشهم وفسقهم، وما يبتلى به من سوء جوارهم، ونذالة أخلاقهم، ولؤم كبارهم وصغارهم، واستحسانهم بينهم لِلؤم الأخلاق، وقلة إنكارهم للدناءة والخنا، وما فيهم من فواحش الريب والبلاء، أعظم وأكبر من أن يؤتى له على صفة أو يحصى، يتكلم سفاسفهم وأهل أسواقهم وأكبر كبارهم وصغارهم بأفحش الفحش وأعور الكلام علانية جهاراً، فلا ترى أحداً منهم أنه يجب عليه أن يكون منه لما سمع من ذلك إنكاراً، فنساؤهم وأكثرهم في الأسواق متبرّجات، وأكثر اللواتي لا يخرجن متطلعات من الكوى والأجنحة غير مستحيات.

فَلِمَ تروا يابني هذا ومثله ظهر في القرى وعم حتى لا ينكره منكر من أهل القرى، ولا يحتشم منهم محتشم، فأنا أخبركم يابني لِـمَ كان هذا في القرى والمدن بلا غلط ولا توهِم، وذلك إنما هو لأن القرى والمدن تجمع وتضم من رذالات الأجناس، وحشو سفساف الناس، وسقاط العجم وشرارهم، فيجتمعون ويختلطون غرباء عن أوطانهم وبلدانهم، فمنهم من هو مملوك مرقوق، ومنهم من هو غير مملوك وهو لئيم الأصل، قليل الحياء للمجون والدناءة والجفاء والمروق والعتاوة والفسوق، فقد اختلطوا وماج بعضهم في بعض، حلوا بالشرور لقلة الحياء، ولؤم الأمهات والآباء، ولأن بعضهم لا

يعرف بعضاً، جميع القرى في الأرض ومن اختلط بهم، فمن كان له أصل أو نسب من قريش والعرب، أو من له حرية نفس من العجم، أو من كرام أجناس الأمم، فلغلبة من ذكرنا من القرى من سقاط الناس ورذالة الأمم والأجناس قد غمر هؤلاء في كثرتهم، وقلوا وصار العدد والمال واليسر في الرذالة والسفل، وافتقد كل من له حرية، وقل عددهم، وصار من له أصل ودين بين هؤلاء الذين ذكرنا قد خمل وذلّ؛ لأن الغلبة في الدنيا الدنية وهذه الدار الأولى من الدنيا الدنية إنما هي للحشو الأكثر في العدد، ولا سيما إذا لم يكن لسلاطين الحق والعدل على السفساف والرعاع بحكم الله يد.

فالناس اليوم يابني في مدن القرى مختلطون، يموجون ويختلط بعضهم في بعض كما تموج أمواج البحر بالماء، ليس فيهم ولا منهم محق يقوى عليهم، وأحكام الله وآدابه في كتابه لا تنفذ فيهم، فقد اختلط علّية من في المدن والقرى بسفلهم، وطال اختلاطهم وثواهم بينهم حتى جروا على سيرتهم، وصاروا لا يستقبحون قبيحاً، ولا يرون دناءة ولا فاضحاً فضوحاً، والإلف للغلبة السفلة، وصارت السفل لكثرتهم وغلبتهم قد رهقتهم الذلة، واحتاج هؤلاء الذين لهم أصول وحرية إلى أولئك فكلهم في مذهبه وخلقه هالك.

قد استحسن من في القرى والمدن من بقايا كرام الناس ما يستحسن من غلب على القرى والمدن من سفل الأجناس؛ لغلبة الغوغاء والرذالة وسقاط الأمم والسفلة على القرى وكثرة عددهم

فيها، فقد غرق بينهم وخزي وذل وقل كل من آوىٰ إليها من أهل الدين والحسب، وكاد أن يبطل بل قد بطل كل ذي دين ونسب.

فالمهرب المهرب يابني من القرىٰ والمدن، الهرب الهرب فلو لم تهربوا منها وتباعدوا إلا لذل الأحرار وفقرهم بها، وأن السفساف من لا خطر له ولا دين قد غلبوا وكثروا وحازوا جميع معايشها، فذكرهم بالقرىٰ والمدن الذكر الرفيع العالي، وفيهم اليسر والثروة والعدد والأموال، وتوارثوا مع ذلك الحيرة في الدين والضلال، ممن كان قبلهم في القرون الخوال، من أهل الشرف في أخلاقهم، والعلو في ولادتهم وأنسابهم؛ لأمور عرضت من حسد وضغائن حالت بينهم وبين طاعة ربهم لا يمكننا شرحها كلها، ومن فَهِمَ فروعها فتدبَّرها فهم أصولها، فقد اشتبه أهل الأرض في معصية الله ورسوله، ومخالفتهم لأنبيائه صلى الله عليه وآله وسلم وتنزيله، فكلهم أو أكثرهم ضال عن أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في مذهبه واعتقاده وقوله وفعله.

[توجعه عليه السلام من زمانه لما فيه من البلاء والمنكر]

فيا لها حسرة ! ويا لها مصيبة في الإسلام ما أعظمها وأجلّها! ويا لها أمة من العرب والعجم ما أغفلها عما أمرت به في كتاب ربها! وما أبطلت من حدود الله ونبذت من عهوده لحيرة جهلها، وما لبست عليها ظلمة بني أمية وغيرهم، معاندة للإسلام لما كانت عليه ظلمة بني أمية من حيرة جهلها، وعداوة نبي الله بجحودها وظلالها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقد أُصِبْنَا وغُبِنّا بما لم يُصَبْ به أحدٌ ولم يجتح مجتاح ولا مغبون، فأي مصيبة يابني أو بلية أو جائحة نزلت بأحد أو رزية أصيب بها أحد فيما مضى من الدهر وبقي أعظم من مصيبة من لم يطع خالقه فيخشاه ويتقي، فيقوم بما أمره الله به من طاعته، ويؤثر رضاه بمباعدة أهل معصيته؟

وإذ قد أصبحنا يابني وأصبحتم، وخُلِقْنَا في عصرنا هذا وخُلِقْتُم في هذا الوقت والحين والزمان، الذي لم يكن في الدنيا عصر ولا زمن أوحش ولا أبلى ولا أهول منه منذ خلق الله البشر والإنسان، بل لم يكن مثله منذ برأ الله البرية الآدمية ولا الجان، وكل دهر أو زمان أو عصر أهله ومن خلق فيه أعظم بلية من دهرنا، وما قد غلب وعمّ على أهل ملّتنا من الجهل والضلال في الدين؛ إذ قد صارت الخاصة والعامة في أرض الله وبلاده مفسدين، ولما أمر الله به رسوله في كتابه وعلى لسان نبيه جاحدين، فأكثر الناس ضال تائه عن الله ورسوله وهو يحسب أنه مهتدي، ناقض دينه الذي أمره الله به ورسوله وهو فرح ويعتدي، قد رضي من دينه بالتمني على الله مع تقصيره لنجاة المخلصين الذين كانوا بتقواهم وطاعتهم برحمة الله ورضوانه مخصوصين، فرجوا وأملوا إذ زعموا وجهلوا وضلوا أن يكونوا من أهل الطاعة لله ولم يتقوه كما اتقوا، ولم يعملوا من الصالحات كما عملوا، وغرهم الشيطان فأضلهم وأغواهم، إذ لبّس عليهم علماء السوء الراكنون إلى غرور دنياهم، فأغفلوا ونسوا ما قال ربهم

ومولاهم لمن هو خلافهم، ومن كان بعيداً من مثل خطاياهم، ومن لم يركب ما ارتكب أهل هذا الزمان من كبائر الفواحش والعصيان؛ إذ تمنوا في أيام الرسول ورجوا طرفاً من الرجاء والأماني، فقال سبحانه لهم على لسان نبيه منبهاً ومحذّراً أن يتمنى متمن عليه مع المقام على الذنوب وترك التوبة أن يكون لهم غافراً، فقال سبحانه في ذلك للمؤمنين وهو ينهاهم أن يكونوا بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في التمني على الله للمغفرة وعفوا السيئات متشبهين، فنهاهم وحذرهم أن يكونوا لمثل ما يتمنون متمنين: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، فلم يوجب الرحمة لأحد من خلقه بالأماني، ولم يوجبها إلاَّ لمن عمل الصالحات وآمن من كبائر العصيان.

كذلك قال أيضاً سبحانه في موضع آخر من محكم كتابه وهو يذكر ما لهم من الرحمة والغفران لمن كان ذا تقوى وإيمان ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فأخبر سبحانه أن رحمته التي وسعت كل شيء لا يكتبها إلاَّ للمتقين.

وقال تبارك وتعالى في موضع ثالث من محكم كتابه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وحاشا الله العدل الحكيم أن يكون من

عصاه وفجر في دينه كالمطيعين الأبرار، وقال في موضع رابع في محكم كتابه، وهو يخبر عن حكمه الذي لا يحكم أبداً بغيره بين عباده: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] وما نزل في القرآن من حكمه بالعقاب على أهل المعصية، وحكمه بالثواب والعفو لأهل التقوى والطاعة أبين وأوضح، وأكثر وأظهر من أن يعمى عنه إلاَّ من خدع نفسه وغرها، ومات عقله وهلك ودمر.

وإنما يابني جرى هذا التبيين مني والكلام في هذا الموضع لئلا تغلطوا في مثل ما غَلِطَتْ فيه من التمني على الله جَهَلَةُ العوامّ.

[عودته عليه السلام إلى ذكر الهجرة وما جاء فيها]

وسنعود إلى ما كنا فيه من اعتزال جماعة الناس في المدن والقرى والهجرة إلى الله عنهم، والتقرب إليه بالبعد منهم، وسأذكر لكم يابني بعد ما ذكرت لكم من تنزيل الله وما ذكرت فيه من قول ملائكته للمستضعفين الذين لم يهاجروا عمن يشاقه ويعصيه أن يقولوا لمن هذه صفته ممن يتوفون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] يعني الملائكة عليهم السلام، بقولهم لمن يتوفون: (فيم كنتم)؟ ماذا فعلتم فيما أمرتم به من إنكار المنكر، والأمر بالمعروف لمن جاورتم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء:٩٧] فلم تقل ملائكة الله:

كذبتم، ولكنهم قالوا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء:٩٧]، فاحتجت ملائكة الله على المتوفين الذين ساكنوا العاصين، بما كانوا مستضعفين وعليه قادرين من الهجرة عن العصاة في أرض الله الواسعة، وأن يكونوا لهم غير مجاورين، قال الله أحكم الحاكمين: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] وقال تبارك وتعالى منبهاً دالاً لعباده المؤمنين على مجانبة العاصين، وأن يكونوا في بلاده الواسعة لعبادته معتزلين متوحدين ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

[ذكر هجرة الأنبياء عليهم السلام]

فلم يزل الأنبياء والصالحون منذ كانت الدنيا إذا بلغوا رسالات ربهم قومهم فلم يتوبوا من خطاياهم يهاجرون عنهم ويتنحون.

[هجرة إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام]

فذكر الله عن خليله إبراهيم ورسوله، وإبراهيم في كرامته على الله وقدره عند الله، وهو يذكر سبحانه مهاجرته من مدن قومه وقراهم؛ إذ أبوا عليه ما بعثه الله به إليهم مما فيه رشدهم وهداهم؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أيس منهم هاجر إليه تبارك وتعالى عنهم، فلما رآهم مقيمين على الأمر المذموم عند الله المسخوط، وآمن له ابن أخيه لوط، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦].

وكانت هجرته صلى الله عليه وآله وسلم هو ولوط ابن أخيه إلى البادية والجبال، لا إلى ما يجمع الناس ويضمّهم من المدن والقرى التي تورث الغفلة

لمن فيها ويأوي إليها من أهل الضلالات والجهل والمعاصي والخبال، فهاجر بنفسه وابن أخيه وسارة زوجته ومماليكه ومن يجري حكمه عليه، حتى نزل بالبادية من جبل بيت المقدس فتفرّغ هناك خالياً بنفسه، ومن أطاعه ممن تحت يديه، وصار إلى ذلك المكان من جبل بيت المقدس، وهو يومئذ جبل خال ليس فيه قرية ولا عمران، منفرداً معتزلاً لأهل المنكر والفواحش والعصيان، فكان منه في خلاء وبادية، اتخذ فيها حيوان الماشية من الغنم والحمير والإبل، فبارك الله فيما اقتنى من ذلك وملكه وكثره.

فذكر في صحيح الخبر أن ما اتخذ من ذلك نما وانتشر حتى صارت معه أقاطيع كثيرة من الغنم، وفنون وعدة من الإبل، فكانت ثلاثمائة، وقال بعضهم ستمائة من الإناث والذكران والحمير، واتخذ من الرقيق ﷺ رجالاً ونساء كانوا له خولاً تحت يده، فعلّمهم طاعة الله وعبادته فآثروا أوامره وطاعته، فبارك الله في خوله ورقيقه، فتناسلوا حتى بلغوا مائتين في عددهم، ملأوا محالهم الذي هو فيه ﷺ هو وهم من باديتهم وبلدهم.

واتخذ ابن أخيه لوط خولاً وحيواناً من الماشية كثيراً، وحفر إبراهيم لكثرة ماشيته بياراً شتّى، ثم إنه كان بين حشمه وبين حشم لوط تضايق، لكثرة ما أنمى الله لهم من الحيوان، فضاقت بهم المياه، فأوقع ضيق المياه بين الخول لكثرة مواشيهم تنازعاً، وكان هو وابن أخيه قد حفروا بياراً ومياهاً كثيرة في بوادي الجبال وغور الأرض،

يتقلّبون فيها شتاء وصيفاً، خالين بطاعة الله وتقواه، سائحين بذكره وعبادته في تلك الخلوات والمحال الطاهرات.

فلما تنازع رعاته ورعاة ابن أخيه مما كثر من ماشية لوط ومواشيه، فقال إبراهيم عليه السلام لابن أخيه قول الأنبياء الكرام: يا ابن أخي لا أحب أن تقع الضغائن بين خولك وخولي، فانظر ما في أيدينا من المياه التي حفرنا وبوادينا فاختر أي الناحيتين شئت، إن شئت فاختر بوادينا التي في غور فلسطين، وإن شئت فاختر الجبال المقدسة التي نكون بها صائفين، فخيّره صلى الله عليه وآله وسلم أي البلدين شاء ومياههما ما كان منها جبلياً أو غوراً وسهلاً.

فاختار لوط عليه السلام غور فلسطين ومياهها وسهلها وبواديها، فاعتزل فيها فصار بخوله وماشيته إليها.

[مقام إبراهيم عليه السلام في بيت المقدس وخروجه منه للدعوة إلى ربه]

وأقام إبراهيم في جبل بيت المقدس، وكان ابن أخيه يغشاه بنفسه ويتردد إليه، وفرَّقوا بين من كان معهم من الخول والرعاء لئلا يقع بينهم من التنازع والتضايق مثل ما يقع بين أهل الجهل والعمى. وكان يخرج صلى الله عليه وآله وسلم داعياً إلى ربه فيما خوله الله من آفاق البلاد، فخرج قبل مهاجرته من بلده ومولده وهي أرض خراسان (حران) والجزيرة إلى العراق، داعياً إلى الله وإلى توحيده فحبسه نمرود ملك العراق زماناً، ثم خلصه الله.

وكان قد خرج بعد هجرته ومصيره بيت المقدس إلى أرض مصر

داعياً إلى الله، فَهمَّ به فرعون أن يقتله، فرأى في منامه ملكين نزلا من السماء قد مليا ما بين السماء والأرض ينهيانه ويزجرانه أن يعرض له، فاستيقظ فزعاً، وأرسل إلى إبراهيم فأجازه وحباه وأعطاه وأهدى إليه هدايا كثيرة كانت فيها هاجر جارية كانت عند فرعون من قبط مصر، فوهبها إبراهيم زوجته (ابنة عمه سارة)، وكانت سارة عاقراً لا تلد، فأقامت هاجر مملوكة لسارة زماناً حتى عجزت سارة، وارتفع الحيض عنها وقعدت عن الولد، فكلّمت إبراهيم في أن تهب له هاجر جاريتها، وقالت لإبراهيم: لعلّ الله أن يهب لك منها ولداً نبيئاً؛ فوطئ إبراهيم هاجر جاريته فوهب الله منها إسماعيل صلى الله عليه، فسرت سارة به وأحبته وربّته وتبنّته، فشكر الله لها ما فعلت بإبراهيم، ووهبها من نفسها إسحاق بعد كبر سنّها وارتفاع حيضها.

[قصة سارة مع هاجر]

فلما رأت سارة هبة الله لها في إسحاق أبغضت إسماعيل بعد حبه، وباعدته وأمه بعد تقريبها وتقريبه، وألحت على إبراهيم ابن عمها في تبعيد هاجر عنها، وإبعاد إسماعيل ابنها، وقالت: أخرج عني الأمة وولدها، وضربتها وآذتها، وأساءت إليها بعد ما كانت عليه من إكرامها وإكرام ابنها.

فلما ألحّ البلاء منها على هاجر أخذت بيد ابنها إسماعيل، وتنحت وتغيبت عن سارة، فلم تدرِ أين تذهب، وقعدت تبكي تحت بعض الشجر، فنزل عليها ملك من السماء فقال: يا هاجر يا جارية سارة ما

تصنعين هاهنا ؟ فشكت إليه ما تلقى وابنها من سارة من الضرب والأذى، فقال لها الملك: يا هاجر أمة سارة ارجعي إلى مولاتك فتعبدي لها، واصبري على ما ينالك من أذاها، فإن الله جاعل لك ولابنك فرجاً ومخرجاً، وجاعل ابنك هذا نبيئاً، وواهب لك منه نسلاً كثيراً لا يحصى عددهم يكونون وحش الإنس، ويكون لهم نبأ وشأن، وتكون أيديهم مبسوطة بالقوة والبأس على كل الأمم والأجناس.

وهذا من قصة إبراهيم وإسماعيل وسارة وهاجر مثبت في التوراة التي أنزلها الله على موسى.

[نزول إبراهيم عليه السلام بهاجر وإسماعيل إلى مكة وبناء الكعبة والحرم]

ثم إن الله أمر إبراهيم بإخراج هاجر وإسماعيل إلى مكة، ومكة يومئذ بادية خلاء، وواد من أودية تهامة خواء، ليس بها دار ولا بناء، فأنزل إبراهيم ابنه إسماعيل وهاجر في موضع الكعبة، وكان بمكة قوم من اليمن من جرهم، فأمر إبراهيم ابنه إسماعيل أن يتزوج فيهم، فتزوج منهم امرأة ووهب الله منها ولده، وكثر بمكة ذريته وعدده.

وبنى إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وآلهما كما ذكر الله الكعبة، ورفعا منها القواعد من البيت، ودعا إبراهيم وإسماعيل لذريتهما كما ذكر الله من الدعوة، وقال الله مخبراً في كتابه عن دعاء إبراهيم خليله لذرية إسماعيل ابنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ

الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ [البقرة: ٢٢٧] إلى آخر الآية.

ووضع إبراهيم أعلام الحرم، وشرف الله إسماعيل بمكة حتى انتشر في البلاد خبره، وعظم شرفه وقدره بما أظهر بأبيه وبه بمكة من أعلام النبوة، وما ظهر بهما وعلى أيديهما بالبراهين البينة وبالحج، واستجابة الناس لإبراهيم إذ أذن بالحج إليه، وألبس الله البيت الهيبة والعظمة عند كل من قدم ووفد عليه، وجعل الحرم أمناً لا يخاف أحد فيه، فأمنت الوحوش النافرة حواليه، مع آيات بينات قد ذكرها الله في القرآن، وبينها في تنزيله بأحسن البيان.

[تكاثر ولد إسماعيل عليه السلام]

فلبث ولد إسماعيل بمكة وحواليها وفي بواديها حتى ضاقت بهم لكثرتهم بوادي الحجاز، وزحم بعضهم بعضاً وكلما غزت قبيلة زحمت ودفعت عنها الأخرى، وانتشروا في البوادي والبراري حتى بلغوا في البوادي ما أشرف على العجم العراق، وبلغوا من ناحية الشام ومصر واليمن، وأقصى ما يتصل بهذه البلدان من البوادي والبراري، وصلحت مكة لخِيارهم وأشرافهم، ولآبائهم وأبنائهم من قريش وبني كنانة.

فلم يزالوا كذلك حتى أخرج الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وجاء على يده بما جاء من النبوة والدين والخير والهدى.

ونشر الله ولد إسحاق عليه السلام بالشام، فكانوا بالبوادي بالشام لا في القرى أصحاب ماشية وسير وسياحة في طلب ما يصلح مواشيهم من المرعى، فأخرج الله منهم من أخرج، وذكر في بني إسحاق من الأنبياء، فلم تزل البوادي وما بعد من القرى في أول الزمان وآخره مساكن للرسل والأنبياء والصالحين والأتقياء.

[ذكر ما جاء عن النبي ﷺ في الهجرة]

وقد جاء عن النبي ﷺ بعد مهاجرته إلى المدينة من ترغيبه عليه السلام في سكنى البادية والشعاب والأودية ما لا اختلاف على رواية الناس فيه.

فذكر عن عائشة وغيرها أن رسول الله ﷺ: ((كان يَتبَدّى إلى أطراف المدينة وبواديها وتلاعها)).

وكذلك روت العامة أن رسول الله ﷺ كان إذا كان في أيام الشتاء والمطر تبدَّى، ثم قالت عائشة وغيرها إلى هذه التلاع والشعاب إلى حول المدينة.

وقالوا: إنه كان ﷺ يتبدّى إلى أطراف تراعها ونواحي البادية حولها.

وذكروا في الخبر عنه ﷺ أنه كان يقول بعد مهاجرته، وبعد إعزاز الله له وظهور حكمه وأمره، وهو يرغب من معه وحوله في التخلي والتفرد، والاعتزال في الشعاب والبادية والتنحي: ((إن أغبط الناس عندي لمؤمن في بطن وادٍ من هذه الأودية، أو شعب من

هذه الشعاب، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، حتى تأتيه الوفاة)).

هذا يابني قوله وترغيبه في اعتزال الناس في أيامه ومع ظهور حكمه، والناس يومئذ هم الناس ليس فيهم الآفات والعاهات التي في البشر اليوم ولا الأدناس.

وذكر عنه ﷺ ما لا اختلاف بين العلماء الأخيار فيه أنه قال عليه السلام: ((إذا كان المطر قيظاً والولد غيظاً وفاض اللئام فيضاً، وغيظ الكرام غيظاً، فأَعْنُزٌ عُفْرٌ في جبلٍ وَعْرٍ، خير من ملك بني النضر))، وهذا من رسول الله ﷺ صفة أزمنة تكون بعده، ومنها الزمان الذي نحن وأنتم يابني فيه.

فقد لعمري فاض في زماننا وقبله بحين طويلٍ اللئام فيضاً، وغيظ الكرام غيظاً؛ فأعنز عفر -يابني، كما قال رسول الله ﷺ- في جبل وعر خير من ملك بني النضر، وبنو النضر يابني هم قريش، فأخبر ﷺ أن الأعنز العفر، والسكنى بها في الجبل الوعر، خير لأهل التقوى والبر من الاختلاط في مثل هذا الزمان وما أشبهه بأهل المنكر والشر.

ولم يزل عقاب الله يابني فيما مضى إنما يقع بالأمم في المدن والقرى، وكذلك وعيد الله فإنما هو لهم، قال الله لا شريك له: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال تبارك وتعالى في موضع آخر وهو يذكر عذابه لأهل القرى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، وقال عز وجل في موضع رابع من كتابه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

وذكر تعذيب الله لأهل القرى في مواضع كثيرة من القرآن لما لم يزل عليه أهل القرى من كثرة الفساد فيهم والمنكر والعصيان.

ولم يكن أهل القرى يابني أكثر شراً ولا فساداً، ولا أشد الخلق مخالفة عن الهدى ولا عناداً، منهم في زماننا ودهرنا هذا، مع ما في القرى يابني من فساد اللسان وظهور العجمة واللكنة عن البيان.

[ما في أهل البادية من الصفات الحميدة]

وأهل البادية فلو لم يكن فيهم مع ما يرغب به عاقل لبيب في أن يأوي إليهم إلاَّ لثباتهم في الكلام، وفصاحة ألسنتهم، وما هم عليه أكثر أهل البادية من الاقتصار على أقل الكفاف في معيشتهم، والزهد في الدنيا الظاهر في لباسهم وآنيتهم، والجود والسخاء بقليل ذات أيديهم، وبذلهم وكرمهم إذا نزل بهم حق ينوبهم، أو آوى إليهم ضيف يأويهم، فالمقل منهم حينئذ في الجود بما في يده كالمكثر، والفقير في الإجتهاد بما يمكن في أداء الحق الذي نزل به وإكرام الضيف الذي حل بفنائه كالمؤسر، يؤثره عند ذلك على نفسه وعياله،

ويبذل ويجود بما لا يجود به القروي من ماله، هذا مع إقبال أهل البادية على شغلهم، ومعائش أنفسهم وعيالهم، وافتراقهم في منازلهم ومحالهم.

فكل إنسان منهم يمكنه أن يكون وحده، وأن يحجز حرمته عن الفساد وولده.

وهذا ما لا يمكن يابني في أهل القرى لأن أهل القرى لا يقدر بعضهم عن الاعتزال عن بعض؛ لأنهم في سكك ودور وبناء، مع طيب البادية يابني وصحة الأبدان فيها وغذائها، وطيب نسيم رياحها وصفاء هوائها ومائها، وما فرش الله فيها فيما لا تبلغه فرش الملوك من رمالها وبطحائها التي ليست فيها، ولا قربها أنتان ولا أنجاس، ولا يغشاها ولا يقاربها من لا حياء له ممن في القرى من غوغاء الناس.

ومع ما في البادية يابني من المناظر الحسنة من الشجر المختلف والنبات، والدواب من الوحوش الهاملات، وخلوة القلب بالفكر فيما وضع الله لخلقه من العبر والآيات، وما يرون فيها ويعاينون من الجبال التي نصبها الله الشوامخ الراسيات، وما في أهلها وسكانها من فصيح الكلام واللغات، ومعرفة من جاورهم بغريب العربية والبلاغات.

مع ما في البادية يابني من إمكان اتخاذ المواشي ذوات الأرحام، من الإبل والبقر والحمير والأغنام، التي لا يتكلف لشيء منها كلفة، ولا يؤتى لما جعل الله فيها من المعايش والغناء عن الناس على صفة، تكون للرجل بالبادية الناقة الواحدة فتصير نوقاً كثيرة بالتناسل

وإبلاً، وتكون للرجل الشاة الواحدة والشاتان والخمس شياه، فتعود بالتناسل في غير طويل من الزمان مالاً وأغناماً كثيرة، لا يتكلف صاحبها لها علفاً ولا مؤنة، وقد تكون له البقرة أو الأتان من الحمير فيرزقه الله تناسلها ونتاجها حتى تصير مالاً ذا عدد كثير، والشاة الواحدة والناقة المفردة لا يقوى عليها ولا على علفها ومؤنتها في مدينة ولا قرية؛ لما يلزم لها وفيها من الغرامة والنفقة الثقيلة، فليس لشيء مما ذكرنا مما رفق الله ومنَّ به على الإنسان من الإناث ذوات الأرحام ومتناسل الحيوان، تناسل بالقرى والمدن ولا رعي ولا مكان.

والماشية يابني فيها وفي تناسلها ودرها وألبانها، وما يرفق الله عليكم من أثمان جلوبتها وأسمانها معائش رائقة، وبلغ ومعونة من الله مباركة نافعة، يكف الله بها وجوهكم عن بخلاء الناس ولئامهم، وأهل الدناءات والشح من عوامهم، فإن لم يكن لكم مع الماشية في البادية شيء من البيار والمزارع استغنى كل واحد إن شاء الله منكم وارتفق وانتفع.

[ذكر اعتزال الأشراف من أسلافه عليهم السلام وغيرهم للمدن والقرى]

ولم يزل من مضى يابني من الأسلاف من قومكم في قديم الزمان، تكون لهم البوادي ويتخذونها ويسكنونها في كل بلدة وبكل مكان، ولم يزل الأشراف قط يتبوأون البادية ويعتزلون عن القرى والمدن في الصحاري والبرية في كل ناحية.

فاعتزل في أول الدهر والناس حينئذ ناس في أكبر الشأن والأمر، بنو حسن فَتَبَدَّوْا، أولهم زيد بن الحسن بن علي عليهم السلام في بادية من المدينة تسمى البطحاء[١] على أربعة أميال، فاحتفر بها بياراً، وبنى بها مساكن متباعدة بعضها من بعض ودوراً، فلم يزل بها بنو حسن بن زيد حتى فرقتهم منها هذه الفتن التي وقعت بالحجاز فكانوا أصح قوم أبداناً، وأجلدهم جلداً وأظهرهم وأنظرهم ألواناً.

واتخذ يابني عمُّكم عبدالله بن الحسن فيما مضى من الدهر والزمن بادية لنفسه وولده من سويقة[٢] وأكنافها وأوديتها وشعابها، فاحتفر بياراً وعيناً بالحَزْرَة في قربها، فيها بنو عبدالله بن الحسن بن الحسن إلى اليوم، وبعضهم قد اتسعوا وحلوا في بوادي ينبع[٣] والغور[٤].

---

(١) وهو موضع بعينه قريب من ذي قار، وبطحاء مكة وأبطحها، ممدود، وكذلك بطحاء ذي الحليفة.اهـ(معجم البلدان).

(٢) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم قد خرج على المتوكل فأنفذ إليه أبا الساج في جيش ضخم فظفر به وبجماعة من أهله فأخذهم وقيّدهم وقتل بعضهم وأخرب سويقة، وهي منزل بني الحسن وكان من جملة صدقات علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعقر بها نخلاً كثيراً وخرّب منازلهم وحمل محمد بن صالح إلى سامرّاء، وما أظن سويقة بعد ذلك أفلحت.اهـ (معجم البلدان).

(٣) هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن عليّ وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب غزيرة، ووادياها يليل، وبها منبر، وهي قرية غنّاء ووادياها يصب في غيقة، وقال غيره: ينبع حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتولاها ولده.اهـ(معجم البلدان).

(٤) قال الأزهري: الغور تهامة وما يلي اليمن، وقال الأصمعي: ما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة، وطرف تهامة: من قبل الحجاز مدارج العرج وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق، والمدارج: =

فبنو عمكم بنو عبدالله بن الحسن يابني منذ نزلوا البادية، أكثر قومكم عدداً، وأجلدهم جلداً، وأوسعهم منازل وبلداً، وأكثرهم في معائشهم ارتفاقاً بالمواشي من الإبل والغنم، فأقربهم لمجاورتهم العرب إلى أخلاق الحرية والكرم، قد دربتهم وخرجتهم البادية وأهلها، فجلدوا واشتدت أبدانهم في منازلهم إن حضروا، وقووا على السفر إذا احتاجوا إلى أن يسافروا فهان وخف عليهم في السفر سرى الليل، وكبارهم وصغارهم يركبون صعاب الرواحل وصعاب الخيل، رجال ذوو رجلة مخشوشنون، بأدنى اللباس والغذاء مكتفون، قد زال عنهم بسكنى البادية الاسترخاء والتفكك والوهن والكسل والكسح والتركك، لا يشبهون من في المدينة وقربها من قومهم في لباس أولئك برقيق الثياب، وقلة صبرهم عن لين الطعام وبارد الشراب، قد زال عنهم في البادية ما لزم أكثر الطالبيين بالبادية من قبيح الألقاب، ولا يعرفون ما يعرف أولئك بالمدينة من اللعب بالحمام، لأن هؤلاء الذين بالبادية جيرانهم وأخدامهم العرب الأحرار الكرام، ومن بالمدينة من آل أبي طالب فأخدانهم وجيرانهم المولّدون من السودان والسفل اللئام، فكل من هؤلاء وهؤلائك بمن نشأ معه وجاوره مقتد متأس، فقد ترك من

الثنايا الغلاظ، وقال الباهلي: كلّ ما انحدر سيله مغرّبا عن تهامة فهو غور، وقال الأصمعي: يقال غار الرجل يغور إذا سار في بلاد الغور، وهكذا قال الكسائي.اهـ (معجم البلدان).

بالمدينة من العبيد والسفل من جاورهم وخادنهم من آل أبي طالب بهم في الدناءة والسقوط- متشبهاً متمثلاً بمذاهبهم محتذياً.

ولآل الحسين بوادي العقيق[١] والعريض[٢] في البوادي والخلوات.

ولآل جعفر بوادي الفرش[٣] وبوادي الغور فلكل بطن منهم بوادي ومعتزلات، ولهم منازل في البوادي والخلوات.

ولآل عثمان باديتان، وادي بدر وبلد يسمى دعان[٤].

ولآل عمر بادية الخلائق والحمراء.

ولآل أبي بكر بوادي ثمر والأجار.

---

(١) قال في معجم البلدان: ومنها عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، وقال غيره: هما عقيقان: الأكبر وهو مما يلي الحرّة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ومما يلي الحمى ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى قصر المراجل ثم اذهب بالعقيق صعدا إلى منتهى البقيع، والعقيق الأصغر ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة، وإلى عقيق المدينة ينسب محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالعقيقي، له عقب وفي ولده رياسة، ومن ولده أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي أبو القاسم، كان من وجوه الأشراف بدمشق، ومدحه أبو الفرج الواواء، ومات بدمشق لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ٣٧٨ ودفن بالباب الصغير، وفي هذا العقيق قصور ودور ومنازل وقرى قد ذكرت بأسمائها في مواضعها من هذا الكتاب، وقال القاضي عياض: العقيق واد عليه أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل ستة، وقيل سبعة، وهي أعقّة أحدها عقيق المدينة عقّ عن حرّتها أي قطع، وهذا العقيق الأصغر وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر بعد هذا وفيه بئر عروة، وعقيق آخر أكبر من هذين وفيه بئر على مقربة منه.اهـ

(٢) قال أبو بكر الهمذاني: هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي.اهـ(معجم البلدان).

(٣) قال في معجم البلدان: الفَرْشُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره شين معجمة، والفرش يأتي في كلامهم على معان.. إلى أن قال: والفرش أيضا: واد بين غميس الحمام وملل، وفرش وصخيرات الثّمام: كلها منازل نزلها رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، حين سار إلى بدر وملل واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصبّ في الفرش فرش سويقة وهو متبدّى بني حسن بن عليّ بن أبي طالب وبني جعفر ابن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم ثم يفرغ في البحر.اهـ

(٤) قال في معجم البلدان: دَعانُ: بالفتح، قال يعقوب: دعان واد به عين للعثمانيين بين المدينة وينبع على ليلة.

ولآل طلحة بوادٍ.

ولبني مخزوم وتيم بوادٍ حول مكة.

ولبني عامر من قريش وفهر بواد كثيرة.

وكان يقال لا يتم شرف قوم من الأشراف حتى تكون لهم بادية.

ولم يزل يابني كل من يتمعض ويأنف ويتمرأ وإن لم يكن ذا دين من بطون أشراف قريش إلاَّ ولهم بادية، بل لكل بطن منهم بواد ومعتزلات، ومنازل في البوادي وخلوات.

[ذكره عليه السلام عداوة أهل مكة والمدينة والعراق لأهل البيت عليهم السلام]

واعلموا يابني أنكم لو لم تعتزلوا المدن في هذا الزمان والقرى إلاَّ لغلبة عداوتكم وعداوة آبائكم على سكان المدن وما هم عليه جميعاً من مخالفتكم ومخالفة أسلافكم في الرأي والتدبير، ولا أعلم في أهل المدن كلهم أشد لكم بغضاً ومقتاً وعداوة من أهل قصبة المدينة ومكة، ففيهم أصل عداوتكم وبغضائكم، وأهلها الذين علَّموا أهل الآفاق التدين بخلاف دينكم وآرائكم، ولا تسكنوا في هذا الزمان قصبة المدينة ولا مكة، وعليكم ما بقيتم بسكنى ما حول المدينة من البادية، والمجاورة في بوادي الحجاز من أهل الكفاف والعفاف من العرب في البوادي، ولا تختلطوا ولا تجاوروا من العرب أهل اللصوصية والفتنة، ولا تكثروا دخول مكة والمدينة إلاَّ لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو لحج بيت الله الحرام، أو لأخذ حاجة تحتاجون إليها من الأسواق أو لفتنة هائجة مخوفة غالبة تخافون معها

انقطاع الميرة والطعام، فإن كان عندكم ذخيرة، وكانت عندكم بلغة ونفقة وميرة، ففي البادية من الأودية والجبال والفروع والمحال في شواهق الجبال ما يعزّكم عند كل فتنة إن شاء الله تعالى.

وكذلك فلا تسكنوا مدن العراق ولا مدينة الكوفة فإنهم قد صاروا إلى غاية العداوة والنفاق، وليس لكم بلد ولا لأولادكم أتقى من بوادي الحجاز تولاكم الله بالتوفيق والرشاد في الدين والدنيا وسكنى البلاد.

[ذكره عليه السلام للسبب في ذكره لأخلاق سكان البادية]

واعلموا يابني أن ذكر البلاد وأخبارها، وذكر الأمم والأجناس وأمورها، سأشرح لكم إن شاء الله منه ما قد ذكرت لكم في أول كتابي هذا إني سأشرحه وأبين لكم فيه بالخبرة والتجربة ما قد كفيتكم المؤنة فيه، فأوضح لكم إن شاء الله ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، عليه توكلت لي ولكم وفيه وهو رب العرش الكريم.

وإنما دعاني هاهنا إلى ذكر البادية ما عرض في وصيتي لكم من ذكر الهجرة عن جماعات المدن والقرى والفجرة الغاوية، فلما أعلمتكم أنه لا مهرب منهم ولا هجرة إلى الله عنهم إلاَّ إلى البادية تعزلكم عند كل فتنة، وما هو أسلم عند الفتن من القرى والمدن؛ لأن أهل الفتنه إنما يطلبون الغنائم والنهوب في أماكن القرى وطرقها، والناس فلا يطلبون من اعتزل في أودية البوادي وجبالها الصعبة الرواسي، ولذلك وضعت لكم ووصفت لكم تفضيل البوادي وما فيها من المرفق والعزلة عن أهل العداوة لربكم ولكم.

وسأعود إن شاء الله تعالىٰ إلىٰ ما ابتدأت به من وصيتكم بطاعة الله خالقكم وربكم، وحذر معصية بارئكم وإلهكم، والآن آخذ من وصيتكم في إتمام النسق الأول، حتىٰ إن شاء الله وسلّم وأعان ووفّق وفهّم، آتي لكم علىٰ صفة ما تحتاجون إليه، وإلىٰ تمييز ما تعملون إن شاء الله تعالىٰ عليه، في معرفة البلدان ومن حولكم من الأمم والأجناس، وبعض ما تحتاجون إليه إن شاء الله لأنفسكم، ومن وهبه الله لكم من أولادكم وأهلكم وحشمكم، وما لا تستغنون عنه من الرأي في سياسة حرمكم وخدمكم، فتفهموا إن شاء الله بإقبال وصيتي، واقبلوا ما قد صفيت لكم اختياره من تجربتي، فلا شك إن شاء الله تعالىٰ عندكم وعند غيركم في أني لم آلكم تسديداً ونصحاً، وتفهيماً لما أوصيكم به وإيضاحاً لذلك وشرحاً.

وسأوصيكم وأنبئكم يابني ببعض ما أوصىٰ الله به ونبيه عليه في الكتاب من صالح العمل وجميل الأخلاق والآداب، فإنه لا وصية في كل حين أحسن من وصية الله تعالىٰ، ولا تعليم ولا تنبيه لجميل خلق ولا أدب أحسن ولا أفضل من تعليم الله وتفهيمه.

[وصيته عليه السلام في ترك الكذب]

فمما نهاكم الله عنه وزجر: الكذب في القول والشهادة والخبر، فلا تقولوا يابني زوراً ولا كذباً، ولا تخبروا خبراً باطلاً؛ فإن الله يمقت الباطل والكذب وقوله، ولا يحب ولا يهدي أهله، يقول الله في كتابه وهو يذكر ما يحل بمن كذب من سخطه وعقابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ

﴿لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال سبحانه وهو ينهى عن الكذب وشهادة الزور، وهو يصف عباده الناجين، ويخبر سبحانه وهو ينهى عن الكذب أحد كبائر الذنوب التي يعذب عليها المعذبين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] ولكفى بقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] نهياً عن الكذب لمن كان ذا عقل من أولي الألباب، فلو لم ينزل الله عن ذلك نهياً لكان الكذب منكراً، قولاً كان الكذب أو شهادة أو خبراً، ولكان ينبغي أن يتركه من كان ذا نسب وحسب حراً.

وقد قال جدكم القاسم بن إبراهيم رحمة الله عليه في النهي عن الكذب شعراً، فقال رضي الله عنه:

ما لكريم النصاب والكذب ... ذاك فعال اللئام في الحسب
لو أعطي الحرُّ أن يَفُهْ كذباً ... ملكَ جميع الملوك من عرب
ما رضي الحُرُّ أن يميل به ... لزعمة من زعائم الكذب
والزور أمرٌ قلاه خالقنا ... وذمَّهُ في مُنْزَلِ الكتبِ
والعبد إلف له يقلبه ... يميل منه في كل منقلبِ
يكذب إما لرغبة طمعاً ... أو رهبة للمجون واللعب
أعيذ نفسي ومن ولدت ومن ... أحببت من قول كل مكتذب

[وصيته عليه السلام في ترك كثرة الضحك والمزاح]

فإياكم يابني ثم إياكم وكثرة الضحك والمزاح، فإن الإفراط في ذلك مما لا يفعله أهل المروءة والعقل والصلاح، وكثرة الضحك والمزاح فإن ذلك لا يوجد ولا يكون إلاَّ في أهل السخافة وقلة الدين لا فيمن اتقى وأصلح، ولم يزل الصالحون من الرسل والأنبياء وذوي الديانة من أهل المروءة والتقى يقلّ مزاحهم ولعبهم، وفرحهم وطربهم، وإنما يعرف أهل اللب والعقل والصلاح والرزانة والوقار والخشوع بترك اللعب وكثرة الفرح والطرب والمزاح.

وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ضحكه أن تبدوا ناجذاه، والناجذان فهما ما يلي النابين من الأضراس، وذلك هو التبسم لا غير في مفهوم جميع الناس.

وكانت تقول العرب في قديم الزمان: أن بني هاشم كانوا يعرفون بقلة الانهماك في الضحك، وإن ضحكهم كان يكون تبسماً تنزّهاً منهم عن القهقهة في ضحكهم وتكرّماً، حتى اختلطوا بأهل المزح من الأجناس وقاربوا بالحضانة والولادة سفساف الناس، فانهمكوا في دهركم هذا مفرطين في سرف المزح والضحك، وانهتك به في مروءته من آل أبي طالب وغيرهم من انهتك.

فإياكم يابني ثم إياكم والتمقت بكثرة المزح والفرح والضحك عند خالقكم وإلهكم ومولاكم، فإنه سبحانه يقول في كتابه فيما أدّب

به عباده من كريم آداب ابتداء منه بالاستحسان والرضا، قول قوم قارون لقارون فيما مضى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، وقال في موضع آخر من كتابه ذَّاماً للمرحين: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧].

[وصيته عليه السلام في ترك السرقة وأداء الأمانة]

وأما يابني ما كره الله من السرق والخيانة وترك أداء الأمانة، فقد كان هذا في الجاهلية عند أهلها من الكفار مذموماً، وكان مَنْ فَعَلَهُ في الجاهلية لئيماً معاقباً مقيتاً ملوماً، ثم حكم الله في السارق بقطع يده لسخطه عليه، فقال فيما نزل على نبيه من كتابه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال مؤكّداً لأمره في أداء الأمانة إلى أهلها مرغباً في تكرمة تأدية الأمانة وفعلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

فوالله يابني إنه ليستحسن من الرجل الكافر والعجمي الخبيث المحتقر أداء الأمانة إذا استؤمن عليها، فكيف بالمستأمن من ذوي الشرف والحسب، ألاَّ يؤدي أمانته إلى من وثق به واسترسل إليه فيها، ولقد ذكر الله أداء الأمانة عن بعض كفرة أهل الكتاب منبِّهاً بذلك لذوي الورع في الدين والألباب، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ

﴿بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران:٧٥] ذماً منه سبحانه لمن ترك أداء الأمانة وإن كان كافراً، وأداء الرجل يابني لأمانته فمن صيانته لنفسه وتكرمته لها، ولم تزل الخيانة مذمومة مسخوطة في جميع الأديان والأمم كلها.

[وصيته عليه السلام في الصدق في القول والوعد]

وأوصيكم يابني بالصدق في الوعد والأخبار، فإن الصدق عند الله من كرم صالح الأبرار، وقد أمر الله بالصدق في مواضع كثيرة من القرآن وحلا به ووصف أهل الصلاح والإيمان، فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فجعل سبحانه الصدق صفة لصالح الرجال والنساء، ودليلاً على الإسلام والإيمان من أشرف الصفات، وجعل الصدق للإسلام والإيمان علامة ثانية من العلامات، وقال تعالى أيضاً وهو يصف حدود صفات من رضي عنه من أهل التقوى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٦ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران: ١٧] فجعل الصدق سبحانه والصبر والقنوت -وهو الدعاء من الداعي قائماً لله- والإنفاق فيما رزق وترك البخل من صفات المتقين الأبرار.

وقد ذكر الله الصدق بالرضا منه والوصية منه به، وكرَّر ذلك تكراراً بعد تكرار، وذكر صدق الوعد فريضة، وجعله من فاضل

الأعمال الصالحة، التي مدح بها إسماعيل نبيه صلى الله عليه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، فكان صدق الوعد مما رضي به عن إسماعيل نبيه صلى الله عليه وآله وجعله له مدحاً شريفاً سنيا.

[وصيته عليه السلام في العمل بوصايا القرآن]

ولكفاكم يابني بوصايا الله في القرآن أدباً ووصايا، فإن الله تبارك وتعالى قد أمر عباده في كتابه من صواب الرشد والحكمة بما هو أفضل مما وهبهم الله من العطايا، ففيه فانظروا، ومنه فاقبلوا وبنوره فاستنيروا، وما أمرتم به في الكتاب أن تفعلوه فافعلوا، فليس خير يُبْتَغى إلاَّ والقرآن به آمر، ولا شرّ يُتَّقى إلاَّ وكتاب الله عنه ناهٍ زاجر.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فما هذا يابني في هذه الآية من جوامع الوصايا بالخير والمعروف والكرم، إذ بدأ في وصايا هذه الآية بأوجب الحقوق، وبين حقّ الخالق وعبادة الله وترك الإشراك به، إذ حقّه الواجب الأعظم، ثم ثنى تبارك وتعالى بعد ذكر عبادته وإيجاب عظيم حقه بالوصية بحق من حقه بعده، من أوجب حقوق خلقه، بحق الوالدين الذين منهما خلق الولد، وهما اللذان ربَّياه صغيراً، وغذّواه برزق الله، وكانا في

الشفقة عليه والمحبة له والإحسان إليه على ما لا يبلغه بعد الله غيرهما أحد، ثم وصى في هذه الآية سبحانه بالرأفة والرحمة، والصلة بعد الوالدين والإحسان إليهما إلى ذوي الرحم الأقربين، والإحسان إلى ذوي القربى فهو العطف عليهم كما قلنا بالرأفة والرحمة والصلة لمحتاجهم ومضطرهم بالعطية والهبة، والصبر على ما لا تخلوا القربى منه بالحسد والنفاسة على القريب إذا بان عليهم بفضل أو رياسة، أو كان في بُلغ الدنيا أكثر قليلاً منهم سعة وجِدَة، فلا يخلونَّ حينئذ من تَنَقُّصِهِ وعَيْبِهِ والوقيعة فيه، وحينئذ يجب الصبر منه على ذلك للقربى والصفح عنهم، وترك مكافأتهم، وذلك الإحسان الذي فرض الله لهم عليه.

واليتامى فقد أوصى الله في هذه الآية بهم والإحسان إليهم والرحمة لهم، مما بُلُوا به من الصغر من فَقْدِ والديهم.

ثم أوصى سبحانه في هذه الآية بالمساكين، وهم ذو العسرة والفقر الشديد، والسُّؤَّال المحتاجون فأمر بالإحسان إليهم، والإحسان فهو نفعهم وما يتصدق به عليهم.

ثم أوصى الله سبحانه بابن السبيل، وهو المسافر الغريب، الضعيف الذليل، الذي قد تغرَّب عن وطنه وبلده، وانقطع به في بلغه وزاده، وقلّة ذات يده، فأمر تعالى بالإحسان إليه، والإحسان إلى ابن السبيل فهو ضيافته ورفده، حتى يخرج من غربته وتضمه بلده.

ثم أوصى تبارك وتعالى بحفظ الجار ذي القربى في النسب

وقريب الجوار، وأوصى أيضاً بالجار الجنب وهو المتنحّي منزله إلى الجار الأجنبي، والأجنبي فهو المتنحي عن ذي القرابة والنسب، والإحسان فهو الدفع عنه بما أمكن دفعه من المضار، والإمساك عما يغمّه ويؤذيه، واحتمال بعض خطاياه أو حسده، ما لم يصل إلى ما يُسْخِط الله تعالى فيَرْكَبُ كبائرَ معاصيه.

ثم أوصى تبارك وتعالى بحفظ الصحبة من صاحب الجنب، وهو المصاحب في السفر الأجنبي الذي ليس منزله منك بقريب، وليس بينك وبينه معرفة ولا قرابة، فأوجب سبحانه له حقاً بالرفاقة والصحابة.

ثم أوصى سبحانه في هذه الآية بوصية شريفة عنده مكرمة، من الإحسان إلى المماليك العبيد الذين خولهم من يملكهم، والمملوك فهو إنسان كمالكه، وإن كان الله قد جعلهم سخرة لهم، والإحسان إليهم فهو أن لا يقصر في النفقة عليهم عما يغنيهم ويكفيهم، وأن يكسو في البرد والقرّ ما يدفيهم، وأن يكسو في الصيف ما يواريهم، ويتجاوز لهم إلاَّ في حد من حدود الله، يغفر ذنوبهم، ولا يفرط الفرط الشديد المسرف في شتمهم وسبهم، فإن غلبوا بالمجانة والمعصية فبيعهم أصلح وأسلم، وأشبه بالإحسان وأكرم من تعذيبهم وضربهم، إلاَّ أن يرجو المالك أن ينفع فيهم تأديبهم، فيؤدبهم ويعاقبهم عقاباً وسطاً، ولا يصير من أدبهم إلى أدب مسرف مفرط ويكون لله سخطاً.

ولكن بما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المماليك من الخبر، دلالة على رضا الله سبحانه في الرفق بالمماليك لمن فهم ونظر؛ فإنه قد صح في منقول الآثار وما لا شك فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار أنه أوصى في مرضه ونزول موته، فقال نظراً لأمته: ((أوصيكم بالضعيفين: المرأة والمملوك)) .

وذكر أيضاً عنه في الوصية بالمماليك أنه قال للأحرار وهو يوصيهم بما ملكت أيديهم، ويعلمهم أن من يملكون بَشَرٌ كهم يؤذيهم ما يؤذيهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أرقّاكم أرقّاكم لم يُخْلَقُوا من حجر ولم ينحتوا من شجر، أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلّفوهم ما لا يطيقون)).

فقال الله سبحانه في آخر هذه الآية والوصية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾ [النساء:٣٦] والله سبحانه لا يحب ولا يرضى للإنسان الضعيف الفاني التكبر والاختيال؛ لأنه وضع الإنسان في الدنيا موضع الوهن والصغار، والانحطاط في كل حال.

فكم يابني في هذه الآية من وصية حكيمة، ومصالح للناس رضية كريمة، وقال الله سبحانه وهو يوصي من هو به رؤوف رحيم من هذا الإنسان: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠]، فكم في القرآن الحكيم وتنزيل الله الكريم من موعظة شافية كافية لقوم يعقلون، ففيه يابني فانظروا، وبنوره في ظلمة

حيرة دهركم فاستنيروا، ففيه الدلالة إلى كل رشد وخير، جعلكم الله ممن اهتدى في ظلم هذا الدهر وحيرته بضياء كتاب الله المبين.

ولكفاكم يابني بنهي الله عز وجل عن كل شر ومنكر ترغيباً منه تعالى في كل خير وبر، بقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧،٨]، فلا أقل ولا أصغر لو كان عند الله سبحانه من الخير والشر في حكمه شيء لصغره وحقارته يسقط ويحتقر من مثاقيل الذر، ولكفى في النهي عما حرم الله من الحرام بقوله ونهيه في آخر سورة الأنعام لنبيه، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٥١﴾وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام].

والفحشاء يابني التي نهى الله عنها فهو كل فاحش من القبيح مستنكر، وذلك فيما قد ألهم الله معرفته كل غَوِيّ وبَرّ، وليس يفعل أحد شيئاً صغر ولا كبر من الفحشاء والقبيح إلا وقد ركّب في طباعه وألهم معرفة ذلك كل أبيض وأسود، أعجمي وفصيح، ألا

تستمعون لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس] فركّب الله يابني كل نفس ومعقولها قبل ما عملت من عملها معرفة ألهمها إياها، تفهم بها ما تأتي من برها وإثمها، وكذلك الفواحش كلها والنفس لما تفعل منها منكرة، و كذلك إذا اتقت وبرت فقد ألهمت النفس وعرفت الأعمال الصالحة البرة، وفيما ذكر الله سبحانه من النهي في القرآن عن المنكر والفحشاء والعصيان، ما أغنى وكفى عن تفسيرنا له بالبيان.

وسأعود يابني إن شاء الله إلى ذكر جمل أوصيكم بما أوصى الله به فيها من الطاعة وفعلكم لها وأثرتكم إياها هي الغنائم الكبرى في الدنيا، وبها النجاة عند الله، والظفر بثواب الله، وحسن جزائه في الدار الأخرى.

وسأذكر لكم يابني من ذلك إن شاء الله جملاً مختصرة إن عملتم بها رجوت أن يكون فيها نجاتكم عند المعاد إلى الله في الدار الآخرة.

[وصيته عليه السلام في توحيد الله وما يليق بجلاله وعظمته]

فأول إن شاء الله ذلك ذكر بارئكم وخالقكم وربكم، والفكرة في وحدانيته وجلاله وعظمته وأن لا تتوهموه مشبهاً لشيء من خلقه وبريته، ولا مثلاً ولا مشاكلاً لشيء مما خلق في أرضه وسماواته، وأن تعلموا إذا فكرتم فجالت بكم الفكر في جميع ما يدرك العقل والحواس، ويحيط به مما ظهر أوغاب أفهام الأولين والآخرين من

الناس، من كل حيوان حي من ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو شمس منيرة، أو نور من الأنوار مضي، أو معظم مشرق مستحسن بهي، أرضياً كان ذلك أو سماوياً، تجول به في قلوبكم فكرة، أو تهِمُوه في دنيا أو آخره، أن تعلموا أن ربكم وإلهكم وصانعكم وصانع كل شيء خلاف لهذا كله، وأنه غير مشبه لشيء من الأشياء كلها التي خلق في سماواته وأرضه، وأن حقيقة الإيمان به أنه هو الله الذي هو خلاف الأشياء كلها، لا يُشاكله ولا يشابهه شيء مما في السموات العلى، ولا مما في أرضها وسفلها.

وحقيقة الإيمان به أبداً، والصواب والحمد لله فيها والهدى، أنه خلاف ما أدركته العقول أو خطر بالبال في الكرم والعظمة والكبرياء والجلال، حقيقة اليقين في المعرفة أنه لا يدرك بحيطة ولا تحديد، ولا تمثيل ولا صفة، وكيف يُوْصَفُ من لا تدركه العقول، ولا الفكر ولا الحواس، ومن تعالى وجل عن شبه أهل السماء من الملائكة، وتقدس وعلا عن أن يشبه الأنوار ذات البهاء المضيئة، وحاشا لله أن يشبه أو يماثل الإنسان الذي هو من الصور الأرضية، بل هو سبحانه الواحد الحق في الوحدانية، والذي لا تدركه الأبصار، ولا يوصف بحدود ولا أقطار، ولا تقاس عظمته وجلاله وقدرته بشبه ولا مقدار، أعظم من كل شيء عظمته عظماً، وأكرم من تدركه الأوهام أو تناله الفكر كرماً، كل كبير معه صغير، وكل معظم عند ذكره حقير.

فإلهكم يابني وربكم فسبِّحوا واذكروا، وحبَّه والوله إليه فاستشعروا، ونِعَمَهُ عليكم فافهموها وإن لم تحصوها واشكروا، وشكركم له وحمدكم فإنما هو بالطاعة والعمل الصالح، لا بالإقرار واللسان، بل بالركوع والسجود والتسليم لأمره والخضوع، والفكرة فيما أبدى من حججه وآياته، وما أراكم من برهان ربوبيته في أرضه وسماواته، فاسمعوا لإلهكم العظيم، وبارئكم الكريم وأطيعوه، واخشوا من خالقكم الرؤوف الرحيم بكم واخضعوا، واحمدوه بألسنتكم وسبِّحوه، واسجدوا له واركعوا، فإنما حمده وشكره عبادته وطاعته، وذكره واتباع ما يحب ويرضيه، واجتناب كل ما نهى عنه من سخطه ومعاصيه، وموالاة أوليائه ومحبة أحبائه من رسله وأنبيائه، ومعاداة أعدائه والإيمان به وبملائكته والتصديق برسله وكتبه.

[وصيته عليه السلام في الصلاة]

وبعد الاعتقاد منكم يابني بالإيقان والإيمان فخذوا أنفسكم بما أمركم به من تطهير الأعضاء والأبدان، فإذا توضأتم فأسبغوا الوضوء حتى تنظفوا ما أمرتم به من كل عضو.

واعلموا أن الوضوء هو التطهر الأصغر، وأن أجلّ منه في الطهارة والأكبر التطهر والتنظّف من كبائر المعاصي، وأن ذلك هو الباب الأكبر الذي من دخله صار إلى النجاة.

واعلموا يابني أن الصلاة إنما وضعت وفرضت لذكر الله تعالى

والثناء عليه، والفكرة في جلاله وعظمته وما يقرب إليه، فمن كان حظه من صلاته القعود والقيام، ولم يكن مفكراً في صلاته بالذكر لجلال ربه وعظمته وما يقرب إليه، وما أنعم به عليه من عظيم نعمه، وما وعد من كريم الثواب في طاعته، وما خوفه به من أليم عذابه على معصيته، فمن لم يكن هكذا فهو ساهٍ في صلواته، وإنما وضعت الصلاة لذكر الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وقال عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون]، والسهو عنها فهو السهو عن ذكر الله تعالى فيها، والإقبال بالفكر والقلب عليها.

فافهموا يابني رحمكم الله قول ربكم ودلالته لعباده وخلقه، على ما في الصلاة والركوع والسجود من رضاه وتعظيم حقه؛ إذ يقول سبحانه لنبيه وهو يرغّبه في الصلاة ويدعوه إليها، ويخبره عن الفضائل في الصلاة وما جعل فيها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة يابني فهي السجود والركوع، والخضوع لله والخشوع، وتمامها وقوامها ونظامها ذكر الله فيها، وإقبال القلب لذكره فيها، ألا ترون كيف يقول الله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، والصلاة فلها موقع كريم عند الله، وهي في جميع الأديان عند أهلها مما يقرب إلى الله تعالى.

وقد رغّب فيها يابني في مواضع كثيرة من القرآن، وأمر نبيه ﷺ من يتبعه من أهل الإيمان، وقال تعالى منبهاً لنبيه وأوليائه لما في

الصلاة من المعونة لهم على تفريج غمومهم وكروبهم، مع ما فيها من القربة إليه ورضاه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وكبرها يابني الذي ذكر الله هاهنا فهو ثقلها على أهل القسوة واللهو الغافلين، فلا تدعوا يابني الأخذ بحضّكم منها، والاستكثار من نوافلها، وقلّة الغفلة عنها، فإن فيها الروح والفرج من الغموم، وكيف لا تكون كذلك وإنما أقيمت وتفرغ فيها لذكر الله الكريم، وأيّ شغل من الأشغال أو عمل من الأعمال أشرف شرفاً وأجلّ قدراً من عمل يشتغل العبد فيه من الدنيا ودنسها، ويقبل في صلاته على الخضوع لله صامداً لخالقه وربه ذاكراً.

فهي كما جاء أنه كان في الأذان الأول النداء بها (حي على خير العمل) وهو خير ما أقبل عليه الإنسان وبه اشتغل، قال الله سبحانه الحكيم العليم، وهو يدعو إلى الصلاة والركوع والسجود أبناء خليله ونبيه إسماعيل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج]، فدلّهم اختصاصاً لحبه سبحانه لأبيهم إبراهيم وإسماعيل على عمل من أعمال البر يحبه ويرضاه سماه عبادة وخيراً وفلاحاً؛ ألا ترون يابني كيف يقول: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧] .

ولكفى بهؤلاء الكلمات في هذه الآية دليلاً على فضل الصلاة والفلاح يابني في جميع القرآن فهو الربح والأرباح، فما سمعتم في القرآن: قد أفلح؟ فمعناه قد ربح أو أربح، والمفلحون فهم الرابحون.

وفي الصلاة يابني وفضلها ورضوان الله عمن فعلها من أهلها ما بدأ الله بها في صفة المؤمنين، وجعلها أول فريضة على المسلمين، وقدمها قبل غيرها في شرائع الدين، ألا ترون أن الكافر المشرك إذا تاب من شركه وأسلم، كان أول ما يؤمر به أن يبتديه الصلاة لربه وبارئه، قال الله لا شريك له وهو يقدم الصلاة في منزل القرآن، عند ذكره وصفته لأعمال أهل الإيمان: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ١ـ ٩] فذكر سبحانه صفات المؤمنين التي كانوا بها عنده في الآخرة ناجين، فبدأ فيها بالصلاة عند ذكر أوّلها، ثم ختم بالمحافظة عليها عند صفاتهم في آخرها.

فتفهّموا يابني وفقكم الله في هذه الآيات ما ذكر الله سبحانه من هذه الأعمال الصالحات التي ورثهم بها الفردوس، وهي ستة أعمال

من الحسنات، فقد كفاكم الله الدلالة على النجاة بها إن فعلتموها نجوتم وفزتم بجميع الخيرات، وما ذكر الله به الصلاة من فضلها فهو في آيات لا نحصيها من القرآن، ولا نأتي هاهنا على ذكرها كلها.

وذكر يابني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يرغب في كثرة الركوع والسجود لله ويدعو إليه، ويقول: ((الصلاة خير موضوع، فمن شاء استكثر ومن شاء أقلّ)).

وذكر أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر من نوافل الصلاة ليلاً ونهاراً، ويقول: عليه السلام: ((جعلت قرّة عيني في الصلاة)).

وذكر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه: كان من كثرة صلاته ونوافله ليلاً ونهاراً يصلي حتى ورمت قدماه، فقيل يا نبي الله ما يحملك على هذا وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه السلام: ((أفلا أكون عبداً شكوراً)).

فالصلاة يابني الصلاة الصلاة، فإن فيها فرج غموم قلوبكم، وأنس وحشتكم، ورضوان ربكم، فلا تغفلوا ما بقيتم عنها، واستكثروا ما استطعتم منها، فقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لكثرة رغبته فيها، يكثر الصلاة في ليله ونهاره كثيراً، وأنه كان يلزم ذلك مقيماً ومسافراً، حتى إنه كان ليصلي نوافله على ظهر دابته يركع ويسجد، ويكبر ويتشهد حيث توجهت الدابة.

وذكر أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: ((إن أغبط الناس عندي لمؤمن ببطن واد من هذه الأودية أو شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة

ويؤتي الزكاة حتى تأتيه الوفاة)).

وقال الله تبارك وتعالى لنبيه مرغّباً له ولمن تبعه في التقرب بالصلاة إليه، وأخبره أن الصلاة حسنات يذهبن السيئات، فتفهموا قوله تعالى تعلموا أنها من كرائم القربات لديه، إذ يقول سبحانه لنبيه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وذكر تبارك وتعالى ما يرضى في الصلاة ويحب بقوله تعالى عند ذكر الكافر الناهي عن الصلاة: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق:١٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٤-١٩]، وذكر الصلاة فدل على فضلها عند مدحه لإسماعيل نبيه وابن خليله صلى الله عليه حين أخبر أنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً، وقال تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسلياً له عن الرغبة في الدنيا، وأمره له بما هو أنفع وأربح وأكبر من الدنيا كلها قدراً من الصبر على الصلاة التي تقرب بها من الله؛ إذ هي أعظم ثواباً من جميع الدنيا وزهرتها التي يمد إليها الإنسان عينيه، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ

رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴿١٣٢﴾ [طه: ١٣١- ١٣٢]، فرغّب الله نبيه يابني في الصلاة ونهاه أن يمدّ عينيه إلى ما متّع به المغرور زهرة دنياه، وأخبره بما أعد في الآخرة من الرزق الباقي لأوليائه، ودلّه على ما يناله به ويعطاه من التقرب إليه بالصلاة والصبر عليها، وأمر أهله منها بما يرضيه، فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢]، وأعلمه أن رضاه في التقرب إليه بالصلاة له، وأنه يرزقه ولا يحتاج إلى رزق فيسأله جل عن ذلك من يُطْعِم ولا يُطْعَم الله البعيد من شبه خلقه العلي الأكرم.

[وصيته عليه السلام في ذكر الله]

وعليكم يابني بذكر خالقكم وبارئكم؛ فإن ذلك مما يحق له سبحانه عليكم، وذكركم له بالليل والنهار، فعمل صالح لم يزل من أعمال الأبرار، ومن الأولى بأن يُذْكَرَ ولا يُنْسى، وأن يُثْنَى عليه ويُسَبَّح في الصباح والمساء، مَنْ خلقكم وفطركم بعد إذ لم تكونوا شيئاً، ومن لولاه تبارك وتعالى ما كان أحد منكم حياً، ومن يغذوكم في كل حين برزقه ونعمه، ويجود عليكم بفضله وكرمه، فنعمه عليكم تروح وتغدوا متصلة، فمن أولى منه جل جلاله سبحانه بأن لا تكون أنفسكم عن ذكره غافلة، فاحمدوه وكبروه وسبحوه؛ فأكثروا ذكره بالغدو والآصال، فإن ذكره وتسبيحه وتكبيره من صالح الأعمال، فإنه يقول سبحانه لعباده المؤمنين، وهو يأمرهم أن يكونوا له من الذاكرين؛ إذ لا يرضى لعباده أن يكونوا عصاة

كافرين، بل الذي يرضى لهم أن يشكروه وهو أشكر الشاكرين، فقال سبحانه لعباده المؤمنين: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه في الذكر وأمر عباده به في السفر والحضر وبعد إفاضتهم من عرفات، وبعد الوقوف له يوم الحج الأكبر: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ١٩٨ـ ٢٠٠]، فأمرهم تبارك وتعالى بعد قضاء مناسكهم بذكره وأن لا يدعوا ذكره في سائر سببهم، وأن يكثروا من ذكره كما يكثرون أو أشد من ذكر آبائهم وأمهاتهم.

وقال تبارك وتعالى -يابني- وهو يأمر عباده بعد الصلاة له بذكره على كل حال من أحوالهم، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال سبحانه لنبيه ﷺ وهو يأمره بتسبيحه وتكبيره في علانيته وسرّه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، فأمره

تبارك وتعالى بذكره على كل حال.

وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات)).

وذكر عن علي عليه السلام من وجوه كثيرة حديث مشهور معروف عند أهل البيت عليهم السلام والعامة، وقد سمعتُه غير مرّة أن علياً عليه السلام قال لفاطمة عليها الرضوان: (إن الطحن واختدامك نفسك قد جهدك فلو أتيتِ أباك فسألتيه خادماً)، فقالت: فانطلق معي، قال: فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له فقال: ((ألا أدلّكما على عمل خير لكما من ذلك: تسبّحان الله إذا أويتما إلى فراشكما ثلاثاً وثلاثين، وتحمدانه ثلاثاً وثلاثين، وتكبرانه أربعاً وثلاثين؛ فتلكما مائة على اللسان وألف في الميزان)) ، قال علي عليه السلام: (فما تركتهنّ منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد كل صلاة فريضة وعند كل نوم)، فقال له رجل ولا ليلة صفين يا أمير المؤمنين؟ فقال: (ولا ليلة صفين).

وذكر يابني عن جدكم الحسن بن علي عليه السلام حديث معروف عنه قال سمعه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى صلاة الصبح ثم جلس يذكر الله إلى أن تطلع الشمس كان له ستراً وحجاباً من النار)).

واذكروا قول الله سبحانه وهو يرغّب في الذكر ويدعو إليه عبادَه المؤمنين ونبيَّه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، وقال سبحانه وهو يأمر نبيه وعباده أن يكونوا له مسبّحين: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق:٣٩]، يعني تبارك وتعالى أدبار الصلاة عند الفراغ منها، وقال لنبيه عليه السلام: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧-١٨].

وقال وهو يخبر عن نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم، ويذكر ما كان عليه من ذكر ربه وتسبيحه قبل تواري الشمس بالحجاب، وهو سقوط عين الشمس، وقد عرض عليه ما أعطاه الله من أجناس الخيل الفاضلة الجياد، والعرب تسمي الخيل خير، فشغله صلى الله عليه وسلم العجب بفضل ما أعطاه الله من أجناس الخيل عن تسبيحه كل عشية يذكر الله حتى توارت الشمس بالحجاب، فأمر حين أغفله العجب بها والنظر إليها عن تسبيح الله وذكره يوم عُرِضَت عليه ساعة من العشي حتى ذهب وقت تسبيحه بردّ الخيل عليه أسفاً على غفلته بالنظر إليها والعجب بها حتى توارت بالحجاب، يعني الشمس، فَرُدَّت الخيل عليه، فأمر بضرب أعناقها ومسحها بالسوق وعرقبتها، قال الله سبحانه: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، والمسح الضرب بالسيف لأعناقها، وسوقها قطعها بالسيوف أسفاً إذ شغلته عن ذكر الله؛ لأن ثواب

تسبيحة واحدة أكبر وأفضل من الخيل، أسفاً على فوات تسبيحه ساعة واحدة.

وقال الله وهو يثني على المؤمنين والمؤمنات بالذكر له في الأوقات: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فلا تدعوا يابني تعاهد الذكر لله، والتسبيح بالبكر والعشيات قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

[وصيته عليه السلام في الحج]

والحج فقد علمتم ما جاء فيه من الثواب، وأنه قيل: إن أقل ما للحاج الخالص النية فيه من عظيم ثواب الله، وأنه يخلف عليه نفقته، ويخلف بالحفظ له في أهله ومهمّه وولده، حتى يرجع من سفره لحجته، وأن الحجة المبرورة ليس جزاؤها إلاَّ الجنة، وأن الحج والعمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكير خَبَثَ الحديد، فلا تدعوه ما أمكنكم إن شاء الله تعالى.

[وصيته عليه السلام في الصدقة]

والصدقة فقد رغَّبَ الله فيها، ودلّ عباده المؤمنين عليها، فقال في صفة ما يرضى عن المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

[وصيته عليه السلام في صلة الرحم]

وصلة الرحم والتغافل عما يكون من ذوي الأرحام من الظلم فمن وجه البر والخير، وفي ذلك من الأجر وثواب الله الكبير ما لا يخفى على ذوي الألباب والتفكير، قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]، فإذا أوصى الله به في هذه الآية من الوصايا التي ترضيه، ويثيب عليها الثواب العظيم الكبير، وبر الأرحام وصلتها مما يعمر الله به الديار، ويزاد به في البقاء والأعمار، فلا تزهدوا في البر لذوي أرحامكم والصلة، فإن ذلك من أبواب البر عند الله العظام الفاضلة.

ولا بدّ يابني من أن يكون في القرابة وذوي الرحم بعض من يحسد ويقطع ويظلم، فإذا كان ذلك من أحد منكم، ولم يكن في الدين فاسقاً ولا سفيهاً عاهراً فاجراً، فصِلُوا القاطع وإن قطع، واحملوا عنه وإن آذاكم وجهل وظلم، فإن ذلك من الإحسان عند الله والله مع المحسنين، والصبر على ذلك عنهم من الكرم والحلم الذي وصف الله به المؤمنين، قال الله تعالى في دفع السيئة بالحسنة:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذا في الأبعدين وفي الناس أجمعين، فكيف في ذوي الرحم الأقربين؟!

واعلموا يابني أنه لا بد أن يكون بين ذوي الأرحام من الشيطان والنزعات، وبعض ما يسمع منهم مما يؤذي النفوس في بعض الأوقات، فمن صبر لذلك حين أحرقه الأذى فتغافل، وكظم حتى يهدأ الغضب ويطفأ، كان محموداً عند الله محسناً، وبالحلم والصبر بعدُ مغتبطاً، وكان المحسن عند الله معاناً، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتقين أنه قال: ((ليس الواصل من يصل من وصله، إنما الواصل من يصل من قطعه)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمه، وابن أبيه وأمه، والناصر لله وله ولدينه علي بن أبي طالب رحمة الله عليه: ((يا علي ألا أدلك على أكرم الأخلاق وأحبها إلى الله؟ قال: بلى يا نبي الله، قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك)).

ولم يصل أحد الرحم ويعفو منها عمن أساء وظلم، إلا طال بإذن الله عمره، وكثر رزقه، ووسّع الله له، فلا تزهدوا في صلة الأرحام، فإن ذلك من الإيمان والإسلام، وأخلاق ذوي المروءة والحلم وأفعال الكرام.

ومن قطع يابني من ذوي رحمه من قطعه كان قاطعاً مثله وشريك

في ظلمه، فمن صبر على غيظ قطيعة ذوي رحم كان عند الله محسناً مأجوراً، ولما أمره الله به من صلة الرحم مؤتمراً مشكوراً، وكان الله بعونه معه وله معيناً، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقال الله سبحانه وهو يصف المؤمنين، ويخبر عما لهم من الثواب والفوز يوم الدين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]، فبدأ تبارك وتعالى في صفة عباده المؤمنين بالصلة لما أمر الله به أن يوصل، والذي أمر الله به أن يوصل فهو ذو الرحم، والرحم الواجب عند الله صلتها، ثم ذكر من بعد الصلة للرحم ما يرضى من الصبر ابتغاء وجهه سبحانه على المكاره، والكظم على الغيظ، والإنفاق سراً وعلانية، وأن يدرأوا بالحسنة السيئة من ذوي الرحم وغيره، فلا يجازوا من أساء بإساءته، ثم أخبر تعالى أن لهم عقبى الدار وهو ثوابه جل جلاله للأبرار فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد:٢٣]، فأخبر أنه لا يلحق بهم مع رضاه عنهم من الآباء والأزواج والذرية إلا من

عمل من الصلاح والصالحات مثل عملهم، ثم أخبر عن الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهي صلة الرحم، أن عليهم بقطيعة الرحم والفساد في الأرض اللعنة، ولهم سوء الدار، وهو عذاب النار، نعوذ بالله ونستجيره منها، ونسأله العون على ما يبعدنا من تقواه عنها.

فعليكم يابني بما أمر الله به أن يوصل من صلة الرحم، والصبر على ما لا بد أن يرى من قطيعة بعضهم بالاحتمال والحلم ترشدوا، وبذلك تسعدوا، وتُعَانوا عليهم وتوفّقوا وتسددوا، فلستم تجازون معصية من عصى الله بقطيعتكم مثل طاعة الله في صلته، والتزين بالبر والحلم عمن أفرط منهم في قطيعته، وتوقي ما يقولون به على قطيعتكم من المعاصي والدناءة والعيوب، ولزوم العفاف والصلاح، واجتناب الكبائر من الذنوب، فإن الناس ليسوا عنهم وعنكم بغافلين، وسيبين لكم إذا فعلتم ما أمرتكم به من الحلم والصلة للرحم أنكم لهم في الفضل والخير فائتون، ولا تختلطوا بهم بالانهماك اختلاط من يغفل الحذر والتحرز، ولا تنقبضوا عنهم من انقباض من تكبر عليهم، ولا تعززوا فاستعملوا الصبر لهم، والإعراض عنهم عندما لا بد أن يكون من نزغات الشيطان بالحسد، وذلك في القرابة قديماً وحديثاً ما لا يخلو منه أحد.

[وصيته عليه السلام في سياسة النساء]

وهذا ما أصنع لكم يابني من الرأي الذي جربت من سياسة النساء الحرائر منهم والإماء، وما ينبغي أن يجربن عليه ويفعل في أمرهن؛ لأنهن في آدابهن وعقولهن وأخلاقهن قد تَنَكَّرْنَ وتغيَّرْنَ في زمانهنّ هذا ودهرهن.

فخيرتهن يابني ذوات العفاف والدين، ومن اختار منهن ذوات العفة والصلاح والدين فهو الرابح الراشد غير الخاسر ولا المغبون، ومن مال منهم إلى -الحُسْن والجمال- وإن لم يكن لمن كان منهنّ حسن جميل ولا صلاح في دينها وتحجب وصيانة عند أوليائها، واستقامة في مذاهبهم في الصلاح والأدب والدين والحجاب- كان خاسراً مغبوناً، وبدا له من أخلاقهن في الدين والأخلاق ما لم يزل معه نادماً محزوناً.

فينبغي لمن أراد تزويج الحرائر أن يتثبَّت تثبتاً شديداً في المساءلة عن صلاحهن ودينهن، وسيرة أوليائهن ورجالهن من الآباء والإخوة، ونسائهن ذوات القرابة لهن، فإن كانوا أهل عفاف ومروءة وطهارة وحجاب لحرمهم، فسيرة نسائهم في أنفسهن لا تشكّوا كسيرة رجالهن وأوليائهن، وإن كانوا أعفّاء صلحاء فالنساء لا يكدن يكن إلا على سيرة أوليائهن ورجالهن، وإن كان أولياؤهن الغالب عليهم وعلى نسائهم سوء السيرة وترك التحجّب، فاحذروا يابني الدخول فيهن والتزوج لهن، فإن الغالب عليهن ما يغلب على

رجالهن، إن كان شراً فشراً، وإن كان خيراً فخيراً.

فمن أراد منكم يابني خطبة امرأة تُذْكر بجمال أو غنى، فليسأل عن وليِّها وعفافه، ومذهبه في دينه وصلاحه، فإن كان ذا عفاف وصلاح، ومقالة في دينه بالهدى والصواب، وكان لحرمته ذا صيانة بها، وكانت المرأة التي هو وليّها ذات عقل وجمال، وحمدٍ في دينها بالثناء عليها في الصيانة لنفسها، واستقامة الأحوال، ففيها لمن رغب منكم الرغبة، ورجوت بإذن الله أن تحمدوا بالدخول في تزوّجها العاقبة، وأن تروا منها المحبة أكثر.

ثم استخارة الله قبل خطبتها والدخول في ملاكها مراراً كثيرة، وكان توكّلكم في أمرها على الدعاء إلى الله في الإقدام على تزويجها بالخيرة.

وقد ذكر عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((تتزوج المرأة على جمالها وعلى حسبها ومالها وتتزوج على دينها))، ثم قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فعليك بذات الدين تربت يداك))، يعني عليه السلام فإن فاتت ذات الدين، وآثرت عليها ذات الحسب والجمال والمال خسرت في دينك ودنياك، فعليك يابني بذات الدين فإن جمعت مع الدين حسباً أو جمالاً أو مالاً ففيها بلا شك الرغبة بالحق اليقين.

واعلموا يابني أن سياسة النساء الحرائر منهن والإماء إنما هي على ما يجرين عليه أول ما يدخلن بيوتهن، ونظرن إلى من يملكهن بإجراءهن على الحجاب والصيانة، وساسهن بحوز الدواخل عليهن

جرين له على ذلك ما دامت بينه وبينهن الصحابة، وحذرن في ذلك خلاف ما أجراهن عليه، وإن هو أراهن سهولة عند دخول الدواخل عليهن اغتررن فيه وأجرينه على إدخال من لا يفهمه، ولا يحيط بغيبه من حشم أهلهن وجاراتهن، ومواليهاتهن اللواتي متى سهل لهن إدخال مثل ما ذكرنا كان حرياً أن يكون ذلك داعياً إلى فسادهن عليه، ولم يأمن أن يكون منهن المفسدات للمرأة والمصغِّرات عندها جميل ما يفعل، والمحسِّنات عندها ما لا يحسن ولا يجمل.

فرأس سياسة النساء حرائرهن والإماء شدة الضبط والحجاب، وأن لا يؤذن لهن في إدخال من لا يفهمون سرّها ولا يأمنون إفسادها وشرها.

يابني وقد ذكر عن نبي الله ﷺ أنه قال: ((النساء عيٌّ وعورات، فاستروا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت)) يريد سترهن بالبيوت الحجاب لهن عن الدواخل، وإلزامهن بالحجاب الصموت.

واعلموا يابني أن المرأة وإن حجبها زوجها غاية الحجاب، فربما غفل الزوج عن المملوك المحقور عنده اتّكالاً على ذلّته وأنه يفرق منه ويخافه ويهابه، فيدعوه الاسترسال بمحقرة العبد والاتكال على ذلة المملوك وهيبته له بالملكة والرق أن يدخله على حرمه وامرأته، حتى يأنس بهن ويألفهن، ويأنسن به، وهو ذكر من الذكران، وقد

ركّب الله في طبع الإناث الصغو إلىٰ الذكور، فيقع في غفلته عن الحذر للوغد والعبد ومحقرته له ما يكره من الأمور.

وكم وكم من امرأة شريفة جميلة حسينة قد دعاها دخول الوغد ومحقرته وألفه وإقباله عليها وإدباره إلىٰ أعظم الريبة.

فلا يدخلنَّ علىٰ ما تحجبون من نسائكم وحرمكم من تحتقرون من أوغاد العبيد، فإن ذلك إن فعلتموه لم يؤمن أن يسهل عليهن من محادثتهن لهم، وأنسهم بهن مما يدعوهن إلىٰ المحذور المشقي الهائل الشديد.

فاحجبوا يابني عن نسائكم وحرمكم ذكران الرقيق المحقور منهم والغوي والرشيد، الفحول منهم والخصيان، فهم لا يؤمنون علىٰ داهية ولا فحشاء ولا عدوان، وإنما المرأة علىٰ ما جُعِلَتْ عليه من وهنها وضعفها ووليها، ما لم تتقِ الله صاغية إلىٰ الرجال لميلها وإلفها.

ولذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهىٰ الرجل عن الخلوة مع امرأة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثالثهما الشيطان))، والغالب علىٰ الرجال والنساء الميل من الذكر والأنثىٰ، والصغو من الأنثىٰ إلىٰ الذكر إلاَّ من عصمه الله بالخشية والتقوىٰ والبر.

فاحذروا يابني، الحذر الحذر كل الحذر من أن تدخلوا أبداً علىٰ الحرم رجلاً كان خصياً أو فحلاً، قبيحاً كان أو وضياً صبيحاً، وكم عسىٰ أن يتردّد ويدخل ويحادث ويألف حتىٰ لا يؤمن منه ما لا يخاف ولا يتوهم ولا يعرف، فإن عصم الله من يدخل عليه من النساء بالطهارة والخوف لله والتقوىٰ، لم يؤمن إذا كثر دخول

المماليك عليهن أن يظن بهن من السوء ما لم يكن فيهن ولا منهن، وأقل ما في دخول المماليك على النساء ما لا يجوز ولا يحتمله غيور من وقوع أبصار المماليك على محاسنهن وصور أبدانهن، وأن يَصِفُوا لمن لا يدخل من شرار الناس صفتهن، وهذا مالا يحتمله أهل الغيرة والأنف، فمكروه فيما بقي من الدهور وسلف.

وتُعْرَفُوا يابني عند نسائكم وحرمكم بالغيرة والتغلّظ والتشدد في الحجاب، وانهوهن عن كثرة القيام بالليل ورفع الأصوات، ومروهن بالتحجّب والتستّر وخفض الصوت؛ فإن في الغفلة عما حذرتكم ما خير به الموت، ولا تطمعوا أحداً من مماليككم وجيرانكم في التقرب من أبواب دوركم، ولا حيث يسمعون أصوات حرمكم، فإن هذا رأس السياسة للنساء حرائرهن والإماء، فمن تراخى في الحجاب وتقريب المماليك والأصحاب من بيوت الحرم وأبوابهن، لم يؤمن من أن يتولد من غفلته ما ذكرت فيهن من الفضائح.

والذي أمرتكم به هو الذي لم يزل عليه كل غيور من الرجال وصالح، حاطكم الله تعالى وحاط لكم، وحفظكم وحفظ عليكم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، ولا تطمعوا النساء في زيارة القرائب، فربما جاء من الغفلة عن ذلك وتسهيله بعض المكاره والمصائب.

تمّ الكتاب والحمد لله المنعم الوهاب

الفهرس

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع) ٣
مقدمة التحقيق ١٨
المؤلف عليه السلام في سطور ٢٢
نسبه عليه السلام: ٢٢
مولده عليه السلام: ٢٢
بعض من أخذ عنه عليه السلام ٢٢
شيء مما قيل فيه عليه السلام: ٢٢
وفاته عليه السلام: ٢٤
من كُتُبِه: ٢٤
مصادر الترجمة: ٢٥
[مقدمة المؤلف] ٢٦
[خطبة وصية الإمام] ٣٠
[بداية وصيته عليه السلام وسبب إنشائه لها وذكر خبرته في الحياة] ٣٢
[ذكر البلدان التي خبر عليه السلام أحوالها وأديان وأخلاق سكانها] ... ٣٤
[مثل ضربه الإمام عليه السلام ليوضح غرضه] ٣٧
[الشهادتان والإيمان بالبعث والجزاء] ٣٩
[وصيته عليه السلام في توحيد الله وطاعته] ٤٠
[معنى التقوى] ٤٤
[وصيته عليه السلام في ترك الزنا] ٤٦
[وصيته عليه السلام في ترك اللواط] ٤٨

[ذكر ما جاء من الأخبار في اللواط وعقوبته] ٥٠
[وصيته عليه السلام في ترك الخمر وكل مسكر] ٥١
[ذكر ما جاء من الأخبار في تحريم الخمر وكل مسكر] ٥٣
[وصيته عليه السلام في هجر المدن والقرى] ٦٠
[ذكره عليه السلام هجرة والده القاسم عليه السلام] ٦٤
[ذكره عليه السلام صفات البادية وأهلها] ٦٦
[ذكره عليه السلام صفات أهل المدن والقرى] ٦٨
[توجعه عليه السلام من زمانه لما فيه من البلاء والمنكر] ٧١
[عودته عليه السلام إلى ذكر الهجرة وما جاء فيها] ٧٤
[ذكر هجرة الأنبياء عليهم السلام] ٧٥
[هجرة إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام] ٧٥
[مقام إبراهيم عليه السلام في بيت المقدس وخروجه منه للدعوة إلى ربه]٧٧
[قصة سارة مع هاجر] ٧٨
[نزول إبراهيم عليه السلام بهاجر وإسماعيل إلى مكة وبناء الكعبة والحرم]٧٩
[تكاثر ولد إسماعيل عليه السلام] ٨٠
[ذكر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة] ٨١
[ما في أهل البادية من الصفات الحميدة] ٨٣
[ذكر اعتزال الأشراف من أسلافه عليه السلام وغيرهم للمدن والقرى] ٨٥
[ذكره عليه السلام عداوة أهل مكة والمدينة والعراق لأهل البيت عليهم السلام] ٨٩
[ذكره عليه السلام للسبب في ذكره لأخلاق سكان البادية] ٩٠

[وصيته عليه السلام في ترك الكذب]..... ٩١
[وصيته عليه السلام في ترك كثرة الضحك والمزاح] ٩٣
[وصيته عليه السلام في ترك السرقة وأداء الأمانة] ٩٤
[وصيته عليه السلام في الصدق في القول والوعد]..... ٩٥
[وصيته عليه السلام في العمل بوصايا القرآن]..... ٩٦
[وصيته عليه السلام في توحيد الله وما يليق بجلاله وعظمته] ١٠١
[وصيته عليه السلام في الصلاة].....١٠٣
[وصيته عليه السلام في ذكر اللَّه] ١٠٩
[وصيته عليه السلام في الحج].....١١٣
[وصيته عليه السلام في الصدقة] ١١٣
[وصيته عليه السلام في صلة الرحم] ١١٤
[وصيته عليه السلام في سياسة النساء].....١١٨
الفهرس ١٢٣